الحقوق السياسية في دولة المماليك (٦٤٨-٩٢٢هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)

The Political Rights in Mamluks State (648-922 H./ 1250-1517)

م.م فاتن كامل شاهين [١] Assist. Lect. Fatin K. Shaheen

الملخص

اشتمل البحث على الحقوق السياسية في دولة المماليك، وذلك من خلال تطبيق حقوق الانسان، والشروط الواجب اتباعها في تطبيقها وعوامل نجاحها والوصول بها الى اعلى درجات تطبيقها.

ووضح منهج الاسلام كيفية تطبيق هذه الحقوق وما هو واجب الحكام لتطبيقها، وذكر الادلة الصحيحة التي نصت على كفالة هذه الحقوق من آيات القران، ومن صحيح حديث رسول الله-ﷺ-

حرص سلاطين المماليك على تطبيق هذه الحقوق للمواطنين داخل الدولة، حيث ان كل ما قامت به الدولة كان يصب في خدمة هذه الحقوق جميعاً للمسلم وغير المسلم داخل حدودها من كافة الجوانب، وحفظت هذه الحقوق للرجل والمرأة.

وتحدث البحث عن منهج سلاطين الممالك في توفير هذه الحقوق لكافة المواطنين والحرص على تطبيقها في احلك ظروف الدولة، وافساح المجال امام العلماء للنقد والتقويم والنصح، فكان اولو العلم مرقبين من سلاطين الدولة ينصحونهم ويشيرون عليهم وعلى ولاتهم وللمسلمين.

لم تقتصر الحقوق على ناحية من النواحي بل شملت كافة هذه الحقوق، وبعدها جزءاً اساسياً من الاسلام، ومن اساسيات الحكم الرشيد فمؤسس الدولة المملوكية الفعلي السلطان الظاهر بيبرس، اسس هذه الحقوق ورعاها وحرص على تفعيلها وتطبيقها وتابعها بنفسه لخاصة المواطنين وعامتهم، واستمر العلماء والفقهاء ورجالات الدولة المملوكية المخلصين في تذكير السلاطين والولاة على كافة هذه الحقوق وحمايتها.

الكلمات المفتاحية: المماليك، الايوبية، السلطان بيبرس، المغول.

١- المديرية العامة لتربية كربلاء.

Abstract

The research contained the human political rights in the Mamalik state. by practicing human rights. it's conditions and factors of success and reach it to the highest level.

Clarifying it by Islam and what is obliged by the rulers to execute them. by Quran and the messenger of Allah quotes.

The sultans of the Mamalik made sure to give these rights to their citizens. To Muslim and non-Muslim. Men and women.

The research also discussed about the methods to supply these rights and to practice them in the darkest of time. Giving space to advisement and corrections by the scientists.

These rights didn't reflect one side but all sides. considering it one of the fundamentals of Al-sultan Al-Daher Bebos reign. he made sure to follow it and practice it for all citizens. the men of knowledge and scientists loyal to the state continued to give their advice on how to enforce and protect these rights.

المقدمة

لقد منَّ الله على عباده بدين متين يخاطب العقل والقلب، ويوصل القواعد والاحكام، شامل للكليات، والجزئيات، والاعتقادات، والعبادات، والسلوك، والآداب، وقرر اصول التعامل مع البسطاء والعظماء، واهل البطالة والاثرياء، والفقراء والاغنياء.

ومن اسس هذا الدين: حقوق الانسان لكل فرد وان علا، قال-ﷺ-:"ان دماءكم واموالكم واعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا".

وقد سلك السلف الصالح السبيل الأقوم في توضيح حقوق الانسان للحاكم على ما جاء به الكتاب والسنة، واذا اجتمعت القلوب على الحق قويت في العبادة، وحسنت بينهم المعاملة، وحفظ الله المجتمع من الشرور، وكانت يد الله معهم.

ومن اوائل اعمال النبي-ﷺ-حين قدم المدينة: مؤاخاته بين المهاجرين والانصار، وتوحيد صفه لتقوى شوكة المسلمين ويعيش الجميع في امن واستقرار.

واستطاعت الدولة الاسلامية منذ تأسيسها ان تجعل من تطبيق مبادئ حقوق الانسان أنموذجاً على جميع الاصعدة وشملت جميع النواحي الحياتية في الدولة.

ولهذا جاء اختيارنا للبحث الموسوم "الحقوق السياسية في دولة المماليك"، واقتضت حاجة البحث تقسيمه على اربعة نقاط رئيسة هي: خصصت النقطة الاولى لدراسة حق المشاركة في الحكم اما النقطة الثانية فقد ركزت على الحق في التعبير والنصح، في حين تناولت النقطة الثالثة الحق في الشورى، اما في النقطة الرابعة فقد سلطنا الضوء على الحق في المساواة بين المسلمين تسبق هذه النقاط مقدمة، وتتلوها خاتمة تتضمن النتائج التي توصل اليها البحث.

اولاً: حق المشاركة في الحكم

ورث المماليك الحكم من الدولة الايوبية وذلك بعد مقتل السلطان تورانشاه [٢] اخر سلاطين الدولة الايوبية، الذي رفض ابوه الملك الصالح نجم الدين الايوبي بتوليته السلطة بعده واوصى بتسليم السلطة للخلافة العباسية [٣]، فجاء تورانشاه الى الحكم فاقداً للشرعية مما شجع المماليك الذين رباهم والده على التخلص منه بناءً على تلك التوصية [٤]، فوصل المماليك الى حكم مصر وبلاد الشام بعد تلك الحادثة وتقربوا الى اهلها وعلمائها للحصول على الشرعية [٥]، حرص المماليك على تنظيم انفسهم وترتيب امورهم وتوزيع امور الحكم بينهم فكان لهم هيكلية خاصة تسهل العملية الادارية داخل السلطنة، وكان من حق اي مملوك في الدولة المملوكية التدرج في الدولة والوصول الى المناصب العليا [٦]، وكان نظام الترقية في دولة المماليك غير تابع لقوانين خاصة تحكمه وكانت الترقيات داخل الدولة تمر بعدة طرق إما عن طريق التدرج الطبيعي داخل وظائف الدولة [٧]، او عن طريق الوصول الى المناصب العليا بطرق غير مشروعة[٨]، مما يؤدي الى حدوث اشكاليات بين المماليك انفسهم أو يرتقي عن طريق السلطان نفسه بأن ينعم عليه باللقب الاميري بأمارة مائة[٩] أو إمارة ألف [١٠]، وكان السلطان الناصر محمد بن قلاوون يوزع الرتب على جنوده [١١]حسب رأيه الشخصي ومراقبته للجنود وفي بعض الاحيان حسب كفاءة الجندي المملوكي [١٢].

وكانت الترقيات تصدر بمرسوم سلطاني مباشر بعد مراقبة الجندي الذي سيتم اختياره المناصب المهمة مثل النائب، او المقدم، او نائب الثغور[١٣]، وكما للعسكر في الدولة حق المشاركة في الحكم أيضاً اعطت الدولة للعلماء والاعيان هذا الحق، فكان للعلماء نصيب كبير في مناصب الدولة العليا وظائف سياسية وعسكرية مهمة، فكان سلاطين المماليك يعتمدون عليهم في حكمهم ويعدونهم الركيزة الاساسية في استقرار

٢- تورانشاه: هو السلطان الذي تولى الحكم بعد وفاة ابيه الملك نجم الدين ايوب وكان سيء السمعة في الحكم والادارة وكان ابوه لا يرغب في توليته السلطة، قتل على يد مماليك ابيه، الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، سير اعلام النبلاء، ط١،(القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٦م)، ج٣٣، ص١٥١.

٣- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت٦٩٧هـ / ١٢٩٨م)، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تحقيق: حسنين محمد ربيع، (مصر: د.ت)، ج٥، ص٣٧٦.

٤- ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بن عبد الله (ت٨٧٤هـ / ١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١ (مصر: وزارة الثقافة،د.ت)، ج٦، ص٣٧٢.

٥- ابن قاضي شهبة،تقي الدين ابي بكر بن احمد الدمشقي (ت٨٥١هـ / ١٤٤٧م)، طبقات الشافعية، ط١، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ)، ج٨، ص٢٤٥.

٦- المقريزي، احمد بن علي بن عبد القادر (ت٨٤٥هـ / ١٤٤٢م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية، ط١، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي،(القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٧م)، ج٢، ص٢٢٠.

٧- طرخان، ابراهيم علي، النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى، (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٨م)، ص١٦٣.

٨- السخاوي، عبد الرحمن بن محمد بن ابي بكر (ت٩٠٢هـ / ١٤٩٦م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط١، (القاهرة: بلا، د.ت)، ج٣، ص٢٨٦.

٩- امارة مائة: وهي امارة مائة فارس واكثر. القلقشندي، احمد بن علي (ت٨٢١هـ / ١٤١٨م)، صبح الاعشى في صناعة الانشا (القاهرة: دار الكتب المصرية، د. ت)، ج٤، ص١٤.

١٠- امارة الف: وهو الاشراف على الف فارس تحت مسمي مقدم الالوف، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص٣٦١.

١١- السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٨٦.

١٢- ابن جبير،محمد بن احمد (ت٦١٤هـ / ١٢١٧م)، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، ط٢، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان،(الهند: دائرة المعارف،١٩٧٢م)، ج٢، ص١٦.

١٣- القلقشندي، صبح الاعشى، ج١١، ص٤٠٠.

الحكم، وحرص السلاطين على توليتهم (المناصب لثقتهم الكبيرة بهم، وكان يتم التعيين بقرار خاص من السلطان نفسه [١٤]، وقلدوا مناصب كبيرة في الدولة مثل منصب قاضي القضاة [١٥]، ومشيخة الخوانق، والمدارس، ومشيخة الشيوخ ورئاسة الطب في الدولة [١٦]، بناءً على خطورة تلك الوظائف وتعاملها مع المواطنين بشكل مباشر، حرص السلاطين الا تصل إليها العناصر الفاسدة ولا يسمح للرشوة والفساد الاداري التغلغل في هذه المناصب العليا، وخصها السلاطين بعناية خاصة ولا يعين فيها الا المشهود لهم بالورع والثقة والنزاهة [١٧]، وكان سلاطين المماليك يسلمون المناصب العليا للعلماء والفقهاء[١٨].

ومن منطلق حق المشاركة في الحكم اوعز سلاطين المماليك للعلماء بمناصب كبيرة كالولاية، وكان العلماء يتورعون في قبول تلك المناصب ويقبلونها فقط من باب إقامة العدل واحقاق الحق وانصاف الضعيف واغاثة الملهوف وتحجيم الاقوياء والضغط عليهم لأخذ حقوق الضعفاء منهم، وعدّها العلماء واجباً شرعياً وليس وظيفة يعتاشون منها [١٩]، ففي سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦١م تولى تاج الدين عبد الوهاب بنت الاعز[٢٠] وظائف عدة في الدولة جمع بين الفقه ومشيخة الشيوخ وامامة الجامع ونظر الجيش وكان بيده خمس عشرة وظيفة وتقلد الوزارة[٢١] اكثر من مرة [٢٢].

١٤- المصدر نفسه، ج١٢، ص٤.

١٥- قاضي القضاة: كان يختار لهذا المنصب من يتوسم فيه العلم بكتاب الله وسنة نبيه وعمال يزكيه لذلك،وأن يكون رجلاً عفيفاً تقياً لا تأخذه في الحق لومة لائم لان هذا المنصب يأتي بالمرتبة الاولى بالنسبة للفاطميين، ويأتي بعده داعي الدعاة. مشرفة، عطيه، نظام الحكم بمصر في عصر الفاطميين، ط٢ (القاهرة: دار الفكر، د.ت)، ص٢٣٢؛ ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ط٣ (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٥م)، ج١، ص١٤١-١٥٣.

١٦- ابن كثير، اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية في التاريخ، ط١،(بيروت: دار احياء) التراث، ١٩٨٨م)، ج١٣، ص٩٣؛ ابن العماد،عبد الحميد بن احمد (ت١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ط١، تحقيق: عبد القادر الاناؤوط ومحمود الارناؤوط، (دمشق: د. ت)، ج٥، ص٢٧٤.

١٧- القلقشندي، صبح الاعشى، ج١٢، ص٥.

١٨- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ٢٧.

١٩- الحجي، حياة الناصر، صور من الحضارة العربية الاسلامية، ط١،(القاهرة: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م)، ص٦٩.

٢٠- تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الاعز: هو القاضي تاج الدين بن بنت الاعز العلائي الشافعي، ولد سنة ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م، كان عفيفاً على دين ولا يحابي احداً، كان القاضي في مصر والشام، وكان على مناصب عدة. الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ / ١٠٧١م)، الوافي بالوفيات، ط١، تحقيق: احمد الارناؤطي وتركي مصطفى، (بيروت: دار احياء التراث، ٢٠٠٠م)، ج٣، ص٤١٣.

٢١- الوزارة: هي كلمة مأخوذة من المؤازرة وهي المعاونة أو من الوَزْر وهو الثقل لأنه يحمل مع مفاعلة أثقاله، او مأخوذ من الوَزَرَ وهو الملجأ لان الملك يلجأ الى وزيره ومعونته، والوزارة تقسم الى نوعين: وزارة تفويض ووزارة تنفيذ. للتفصيل أكثر عن الوزارة أنظر: الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل = = (ت٤٢٩هـ / ١٠٣٨م)، تحفة الوزراء،ط١، تحقيق: سعد أبو دية، (عمان: دار البشر للطباعة، ١٩٩٣م)، ص٢١؛ الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط١ (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٦م)، ص٢٤؛ أبو يعلى، محمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ / ١٠٦٥م)، الاحكام السلطانية ط١، تصحيح: محمد حامد الفقي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م)، ص٢٩-٣٠؛ الابشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد (من اعلام القرن التاسع الهجري)، المستطرف في كل فن مستظرف، ط١ (بيروت: دار الندى للطباعة، ٢٠٠٤م)، مج١، صص١٣٦-١٣٧؛ ماجد،عبد المنعم، تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، ط١ (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٣م)، ص٣٢.

٢٢- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٥٩؛ العيني، محمد بن احمد بن موسى (ت٨٥٥هـ / ١٤٥١م)، السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة من خلال مخطوط عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان (ت ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م)، تحقيق: شكري ايمان عمر، (بلا: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢م)، ج١، ص١١٣.

وتولى ابن خلكان [٢٣] في سنة ٦٨١هـ / ١٢٨٢م منصب قاضي القضاة والاوقاف والمارستان، ودرس في سبع مدارس وهي: العادلية [٢٤] والناصرية[٢٥] والنجيبية[٢٦] والركنية والاقبالية والبهنسية والبادرئية [٢٧]، ومنح سلاطين المماليك حق المشاركة في الحكم للجميع، وتعددت الوظائف الممنوحة في عهد سلاطين المماليك للجميع بشكل كبير، فمن المناصب التي شغلت خلال هذه الفترة القضاة، وقضاء العسكر وقضاء المذاهب الاربعة وافتاء دار العدل والحسبة [٢٨]، ووكالة بيت المال، والامامة[٢٩] بالجوامع الكبرى، وعين

٢٣- ابن خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ / ١٢١١-١٢٨٢م) احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر ابن خلكان البرمكي الاربلي، ابو العباس: المؤرخ الحجة، الاديب الماهر، صاحب (وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان) وهو اشهر كتب التراجم ومن احسنها ضبطاً واحكاماً. ولد في اربل وانتقل الى مصر واقام فيها مدة، وتلى نيابة قضائها. سافر الى دمشق، فولاه الملك الظاهر قضاء الشام. وعزل بعد عشر سنين. فعاد الى مصر فأقام سبع سنين، ورد الى قضاء الشام، ثم عزل عنه بعد مدة. وولي التدريس في كثير من مدارس دمشق، وتوفي فيها فدفن في سفح قاسيون. يتصل نسبه الى البرامكة. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧، ص٣٠٨.

٢٤- العادلية: وهي مدرسة بنيت في عهد السلطان الملك العادل سيف الدين طومان باي وكانت في القاهرة في سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م. ابن العماد، شذرات الذهب، ج٨، ص٢٧.

٢٥- الناصرية: بناها الامير طوخان، توفي سنة ٨٤٧هـ / ١٤٤٣م. النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت٩٧٨هـ / ١٥٧٠م)، الدارس في تاريخ المدارس، ط١، تحقيق: ابراهيم شمس الدين،،(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ)، ج٢، ص١٩٩.

٢٦- النجيبية: بناها جمال الدين اقوش الصالحي النجمي، اشتغل في مشيختها علي بن مجاهد علاء الدين المجدلي، توفي سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩٣م. ابن حجر العسقلاني،شهاب الدين احمد بن علي (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)، انباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ط٢،(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م)، ج٥، ص٧٤.

٢٧- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٣١٢.

٢٨- الحسبة:نشأت وظيفة الحسبة الى جانب وظيفة القاضي؛ نتيجة تضخم ظروف الحياة في الخلافة الاسلامية، وهي وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو فرض على القائم بامور المسلمين، يعين لذلك من يراه اهلاً له، فيتعين فرضه عليه بحكم الولاية، وان كان على غيره من فروض الكفاية، وفي تطورها فقد تعدت الحسبة هذا المعنى الديني في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى واجبات عملية مادية تتفق مع المصالح العامة للمسلمين فقد تناولت اموراً اجتماعية متعددة؛ مثل المحافظة على النظافة في الطرق، والرأفة بالحيوان بان لا يحمل مالا يطيق،ورعاية الصحة وغيرها. وبعبارة عامة كل ما يتعلق بالمجتمع واخلاقه. وكان عمل المحتسب الاساسي منع الغش في الصناعة والمعاملات، وبخاصة الاشراف على الموازين والمكاييل وصحتها ونسبها.؛ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، ط٥،(بيروت: دار القلم، ١٩٨٤م)، ج١، ص٢٢٥.

٢٩- الامامة: وردت لفظة الإمام في القران الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ سورة البقرة، أية رقم (١٢٤)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ سورة الاحقاف، أية رقم (١٢) وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ سورة هود، أية رقم (١٧) وغيرها من الآيات التي وردت في القران الكريم بخصوص الإمام. والإمامة لغة: أصل الشيء وعماده وللقوم ونبيهم ومنها يأتي لفظة الإمام وهو الذي نقتدي به والمتبع. الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ / ١٢٦٧م)، مختار الصحاح، ط١ (بغداد: دار النهضة، د.ت)، ص٢٦؛ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج٤، ص٧٦-٧٧ (مادة أمام). أما اصطلاحا فتطلق على المتقدم على قومه في القيادة والرياسة والمتبوعة، وبذلك أستحق من تقدم القوم للصلاة بهم أن يسمي إماماً لأنه يؤمهم أي يتقدمهم. الرازي، مختار الصحاح، ص٢٩.وتعد الامامة من أكثر العقائد تميزاً عند الشيعة بشكل عام، وعند الفاطميين بشكل خاص فهي أحدى دعائم الاسلام بل المحور الذي تدور عليه عقائد الشيعة على أختلاف فرقهم فلا دين عندهم لمن لا يعتقد بإمامة الأئمة المنصوص عليهم من أهل البيت ولا يقبل الله عمل مسلم ان لم يعتقد ويؤمن بولايتهم ويطيعهم مثل طاعتهم للرسول الكريم -صلى الله عليه وآله وسلم-، فهذه ثلاث طاعات مقرونة متصلة، أمر الله تعالى في كتابه الكريم بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ سورة النساء اية رقم (٥٩) فالقاضي النعمان ذكر ان الامامة هي رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الاشخاص نيابة عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- أبو حنيفة النعمان محمد بن أحمد، الهمة في أداب أتباع الأئمة، تحقيق: محمد كامل حسين، (القاهرة: دار الفكر، د.ت)، ص١٩، أما الداعي النيسابوري فيذكر قائلاً: " ان الامامة هي قطب الدين واساسه والتي تدور عليها جميع امور الدين والدنيا، وصلاح الآخرة والاولى، وينظم لها أمور العباد وعمارة البلاد، وقبول الجزاء في دار المعاد وبها يصل الى معرفة التوحيد والرسالة بالحجة والبرهان، والدلالة الى معرفة الشريعة وبيانها، لان أثبات الامامة أثبات الرسالة ". أحمد بن أبراهيم (توفي في القرن الخامس الهجري)، أثبات الامامة، ط١، تحقيق: مصطفى غالب، (بيروت: دار الاندلس، ١٩٩٦م)، ص٢٧. وللمقارنة بين ما كتبه دعاة الاسماعيلية حول عقيدة الإمامة أنظر: القاضي النعمان، مختصر الآثار،(مخطوط) نسخة خطية مصورة في مكتبة الدكتور حيدر الكربلائي ورقة ١٣؛ الداعي عبدان القرمطي (توفي في القرن الثالث الهجري)، شجرة اليقين، ط١، تحقيق: عارف تامر، (بيروت: دار الافاق، ١٩٨٢م)، ص١٠١؛ الكرماني، أحمد حميد الدين (ت٤١١هـ / ١٠٢٠م)، المصابيح في أثبات الامامة، تحقيق: مصطفى غالب، (بيروت: دار المنتظر، ١٩٩٦م)، ص١٢؛ الكرماني، الاقوال الذهبية، ط١، تحقيق: مصطفى غالب، (بيروت: دار محيو،

السلطان الظاهر بيبرس في حكم بلاد الشام ابن خلكان من العريش الى الفرات وأوكل إليه النظر في جميع اوقاف الشام فضلاً عن التدريس والافتاء [٣٠]، وكان في معاونة ابن خلكان الكثير من المعاونين حيث بلغوا في بعض الاوقات الى واحد وعشرين معاون، وفوض السلطان ابن حجر العسقلاني ليكون نائباً عنه في اليمن[٣١]

بأسرها [٣٢]، واعطى سلاطين المماليك حقوقاً كبيرة للمشاركة في الحكم حيث ان بعض المعينين للمناصب العليا كانوا يشترطون على السلطان شروطاً صعبة للغاية حتى يعفيهم السلطان ولكن السلطان يقبل بشروطهم مثلما فعل القاضي تاج الدين بن عبد الوهاب الاعز [٣٣]، ومع حرص سلاطين المماليك على حق المشاركة في الحكم الا انه في بعض الاحيان كان يثير الوشاة سخط السلاطين على بعض من يعملون تحت ايديهم فيقلقون السلطان مثلما حدث مع السلطان الناصر محمد عندما تمت الوشاية إليه بأن شيخ الاسلام ابن تيمية يريد قلب نظام الحكم عليه فأرسل إليه يسأله، فرد عليه ابن تيمية: "بأن ملكك لا يساوي عندي فلسين فأطمأن السلطان " [٣٤].

وخاف بعض سلاطين المماليك على حكمهم بعد ما توسع نفوذ بعض من هو تحت امرتهم، ما ادى الى ابعادهم عن الحكم ومصادرة املاكهم والراحة منهم بعد موتهم، مثلما شعر بالراحة الظاهر بيبرس بموت العز بن عبد السلام وقال: "الان استقر الحكم لي" [٣٥]، وكان حق المشاركة في الحكم يوجد التنافس بين الامراء والاداريين ما يجعلهم يتحينون الفرص للإيقاع بمنافسيهم وتشويه صورهم امام السلاطين، مثلما حدث مع القاضي محمد بن ابي بكر الافتائي المالكي [٣٦] عندما طلب منه شرف الدين اعطاءه اموال

١٩٧٧م)، ص٢٦ وما بعدها؛ الكرماني، رسالة المباسم والبشارات، نشرت ضمن كتاب مجموعة رسائل الكرماني، ط١، تحقيق: مصطفى غالب، (بيروت: المؤسسة الجامعية، ١٩٨٣م)، ص٥٥؛ الداعي ابو المعالي، حاتم بن عمران بن زهرة (ت٤٩٥هـ / ١١٠١م)، رسالة الاصول والاحكام، نشر ضمن كتاب خمس رسائل اسماعيلية، تحقيق: عارف تامر، ط١ (سلمية: دار الانصاف، ١٩٥٦م)، ص١٢١ وما بعدها؛ الداعي أبن الوليد، علي بن محمد بن الوليد الأنف العبشمي (ت٦١٢هـ / ١٢١٥م)، دامغ الباطل وحتف المناضل، ط١، تحقيق: مصطفى غالب، (بيروت: مؤسسة عز الدين، ١٩٨٢م)،ج١، ص٣٩ وما بعدها؛ الداعي أبن الوليد، تاج العقائد ومعدن الفوائد، تحقيق: عارف تامر، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٧م)، ص٦٥ وما بعدها؛ الداعي ابن الوليد، جلال العقول وزبدة المحصول، نشر ضمن كتاب منتخبات إسماعيلية، ط١، تحقيق: عادل العوا، (بيروت: مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥٨م)، ص٩٣؛ الداعي الوداعي، علي بن حنظلة بن أبي سالم (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م)، سمط الحقائق في معرفة العقائد " في عقائد الاسماعيليين "، تحقيق: عباس العزاوي، (دمشق: المعهد الفرنسي، ١٩٥٣م)، ص٦٢-٦٦.

٣٠- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ط١، تحقيق: محمد عبد القادر عطا،(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م)، ج١، ص٥٣٨-ص ٥٣٩.

٣١- اليمن: بلاد واسعة من عمان الى نجران، تسمى الخضراء لكثرة أشجارها وزروعها وبها الاحقاف وهي الان تلال من الرمل بين عدن وحضرموت وقيل سميت اليمن لان يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح أقبل بعد خروج ثلاثة عشر ذكراً فنزل موضع اليمن فقالت العرب تيمن بنو يقطن، وقيل سميت بيمن لأنها عن يمين= =الكعبة. ابن الفقيه الهمداني، أبو بكر أحمد بن محمد (ت٦٣٥هـ / ٩٧٥م)، مختصر كتاب البلدان، ط١ (بيروت: دار أحياء التراث العربي، ١٩٨٨م)، ص٣٦؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)،أثار البلاد وأخبار العباد، ط١ (بيروت: دار صادر، د. ت)، ص٦٥-٦٦.

٣٢- عز الدين،محمد كمال، التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر، ط١،(بلا: دار اقرأ، ١٩٨٤م)، ص١٧٢.

٣٣- المقريزي، السلوك،ج٢، ص٢٣٦.

٣٤- البزار، عمر بن علي، الاعلام العلية في مناقب ابن تيمية، (بيروت: المكتب الاسلامي، ١٣٩٩هـ)، ص٧٢.

٣٥- السبكي، تاج الدين ابي نصر عبد الوهاي (ت٧٧١هـ / ١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناجي، ط١ (بلا: مطبعة عيسى، د. ت)، ج٨، ص٢١٥.

٣٦- القاضي محمد بن ابي بكر الافنائي المالكي: عرف بعلمه وفضله وكان قاضي المالكية في مصر والشام، وتعرض للعزل بسبب مواقفه الجريئة وانكاره للباطل. ابن جبير، الدرر، ج٣، ص٦٧.

الايتام فرفض اعطاءه إياها فوشى به الى السلطان ما عرضه الى التهديد والمساءلة واتهامه بسرقة الاموال [٣٧]، وكان الامراء في بعض الاحيان يعزلون من يخالفهم في تلبية رغباتهم فعزلوا نور الدين ابراهيم الانسائي[٣٨]، عندما رفض تسليمهم اموال الزكاة [٣٩]، واستغل سلاطين المماليك حق المشاركة في الحكم لتثبيت سلطاتهم فعندما تولى السلطان عز الدين ايبك السلطنة [٤٠] لجأ الى تعيين سلطان شارك في الحكم من الايوبيين [٤١]، وكان ايبك يريد من هذا العمل ان يكون له ستار، حتى يستتب الحكم له فعين الملك الاشرف موسى وهو صبي في السادسة من عمره شريكاً له حتى يضمن ولاء المماليك والايوبيين له، فكانت المراسيم السلطانية تخرج تحمل الاسمين الاشرف والمعز ولكن في الحقيقة جميع الامور في يد ايبك [٤٢]، ووافق المماليك المناوؤين لآيبك على الازدواجية في السلطة والحكم حتى يستفردوا بالحكم ويسيطروا على الامير الصغير ويكون في يدهم اداة طيعة في تنفيذ مآربهم وإسكات الايوبيين [٤٣] ولكن الحيلة لم تنطلِ على الايوبيين ولم يسلموا للمماليك [٤٤].

وبقي الحال في الدولة على النزاع لمن يصل الى الحكم، ففي عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون تولى ادارة البلاد وهو صغير السن وسلطته الاولى لم تمتد الا سنة واحدة من (سنة ٦٩٢هـ / ١٢٩٣م حتى سنة ٦٩٣هـ / ١٢٩٤م)، وكانت سلطته قصيرة جداً وسلطة وهمية، فكان بعض الامراء الاقوياء متحكمين بمقاليد الامور اهمهم نائب السلطان زين الدين كتبغا [٤٥]، وأقال السلطان الناصر محمد من منصبه وعين كتبغا نفسه سلطاناً بعد ان اقصى الامراء المناوئين له[٤٦]، وفي فترة الولاية الثانية للسلطان الناصر محمد بن قلاوون ضاق صدره من تضييق الامراء عليه وتواصل مع بعض الامراء للخروج من هذه الهيمنة فعلم الامراء المحيطون به بهذه المراسلات فقبضوا عليه ونزعوا جميع صلاحياته [٤٧]، ولولا تدخل العامة لصالح الناصر

٣٧- المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٩٣.

٣٨- نور الدين ابراهيم الاسنائي: هو ابراهيم بن هبة الله الحميدي الاسنائي الشافعي، درس الفقه وتولى القضاة واعتزاله سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م. ابن جبير، الدرر، ج١، ص٧٦.

٣٩- الزكاة: ورد مصطلح الزكاة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾. سورة المعارج، الاية ٢٤-٢٥. وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ سورة مريم، الاية ٥٥.ومعنى الزكاة في الشرع اسم "للصدقة" الواجبة من المال لأن فاعلها يزكو بفعلها عند الله سبحانه وتعالى، ويصير من الطاهرين المطهرين، ويومئ إلى هذا المعنى قوله تعالى:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ سورة التوبة، الاية ١٠٤. والزكاة واجبة بحكم القرآن، وقد فسرها الماوردي، ومعنى قوله سبحانه ﴿تطهرهم وتزكيهم بها﴾ أي تطهر ذنوبهم، وتزكي أعمالهم. وهي فرض فرضه الله تعالى على عباده، قائلاً: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾. وتعد أول ضريبة إسلامية فرضت على الأغنياء والقادرين، وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه -صلى الله عليه وآله وسلم- ، أن يأخذ الزكاة من أموال الأغنياء ليردها على الفقراء بمقتضى قوله تعالى:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾. الاحكام السلطانية، صص٩٨-١٠١؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ص٢٩٥.

٤٠- الملك المعز عز الدين ايبك الجاشنكير التركماني الصالحي النجمي (توفي بالقاهرة عام ١٢٥٧ ٩ اول سلاطين الدولة المملوكية. نصب سلطاناً على مصر في عام ١٢٥٠ بعد ان تزوجته وتنازلت له عن العرش شجر الدر سلطانة مصر وارملة السلطان الايوبي الصالح ايوب، وبقي سلطاناً الى ان اغتيل بقلعة الجبل. ابن جبير، الدرر، ج١، ص٧٦؛ المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٦٣.

٤١- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٥.

٤٢- المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٦٩.

٤٣- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٥.

٤٤- المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٧٠.

٤٥- المصدر نفسه، ص٧٩٣.

٤٦- المصدر نفسه، ص٨٠١.

٤٧- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص١٤٩.

محمد الذي اجبر المماليك على التوقف عن ابعاده عن الحكم واكتفوا بإبقائه في القلعة دون صلاحيات[٤٨]، ما دفع السلطان الناصر محمد بالخروج الى الحج كي لا ينكر احداً عليه هذا الفعل، وفي الطريق ذهب الى قلعة الكرك وكتب الى الامراء الموجودين في قلعة القاهرة استقالته من الحكم سنة ٧٠٧هـ / ١٣٠٨م[٤٩]، وعزل السلطان محمد بن قلاوون نفسه وعين الامير بيبرس الجاشنكير نفسه سلطاناً بدل الناصر محمد بن قلاوون[٥٠].

واستمر مسلسل اغتصاب السلطة للأمراء الاقوياء من السلاطين الضعاف الذين يقومون سلطنتهم وهم صغار كي يسهل عليهم ادارة شؤون البلاد والاستفادة من صغر سن السلطان في تنفيذ مخططاتهم الشخصية، ما ادى الى غياب حق المشاركة في الحكم، حيث ساد قانون الحكم لصاحب النفوذ وصاحب القوة ومن لديه مال ورجال اكثر من الامير الاخر، واستمرت الامور على ذلك حتى شق عصاها السلطان الناصر محمد بن قلاوون في فترة ولايته الثالثة التي حكمها مدة واحد وثلاثين عاماً مستمرة، واعطي الحق في ادارة شؤون الولايات للولاة دون التدخل الا في وقت الحاجة لضمان سلامة السلطنة [٥١].

وحاول بعض سلاطين المماليك ان يجعلوا الحكم وراثياً مثلما فعل السلطان الظاهر بيبرس بتوريث الحكم لابنه ففرض سلطنته في حياته ومن ثم تعينه سلطاناً بعد وفاة والدهِ، ولكن افعاله الطائشة ادت الى تأمر المماليك عليه وقتلوه ولم يكن للسلطان الناصر محمد اقل رغبة من الظاهر بيبرس بتوريث السلطة لذريته من بعده وحاول تعيين ابنه الامير ناصر الدين الانوك، ووافق الامراء على ذلك ولكن الموت حطم امال السلطان الناصر محمد بن قلاوون فتوفى ابنه ناصر الدين انوك [٥٢] قبله [٥٣]، وبعد وفاة السلطان الناصر محمد وحتى بداية حكم المماليك البرجية سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م بقي الحكم في هذه المدة بأيدي الامراء الاقوياء بسبب صغر سن احفاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون وكانوا ألعوبة في يد الامراء الاقوياء فلم تشهد السلطنة في ذلك الوقت استقراراً بسبب كثرة الانقلابات واخذ زمام الامر بالقوة وليس عن طريق المشاركة في الحكم [٥٤].

ومن خلال المصادر ترى الباحثة ان حق المشاركة في الحكم هو حق اصيل داخل سلطة المماليك وشارك سلاطين المماليك الكثير من الامراء والعلماء والتجار في الحكم وكانوا سنداً ولكن طمع بعض الامراء في السلطة ادى الى اقصاء الكثيرين من السلاطين والامراء عن الحكم بالقوة، مما ادى الى حدوث فوضى وقصر مدة حكم السلطان فما يلبث ان يعين سلطان حتى يقال وفي بعض الاوقات كان يعين السلطان في الصباح ثم يقال ويعين بدلاً منه في المساء.

٤٨- المصدر نفسه، ص١٧٣.
٤٩- المصدر نفسه، ص١٧٩-١٨٠.
٥٠- المقريزي، السلوك، ج٢، ص٤٦.
٥١- ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد امين، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، د. ت)، ج٣، ص٢٥٠.
٥٢- الامير ناصر الدين الانوك ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون كان اعز الابناء عند والده وكان يشغل منصب نائب والده. السخاوي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: ابو الفضل ابراهيم، ط١،(مصر: دار احياء الكتب، ١٩٧٩م)، ج١، ص٢٣٢.
٥٣- المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٤٣.
٥٤- المصدر نفسه، ج١، ص٦٩٧.

ثانياً: الحق في التعبير والنصح

ساد في دولة المماليك اهل العلم والعلماء، وكان السلاطين اهل علم ومجالسي للعلماء وكان لطبيعة الدولة الدينية الاخذة من القران الكريم دستوراً ومن الرسول قدوة، دافعاً للسلاطين للحرص على احياء الدين في ارجاء مملكتهم، ومن اساس الدين الاسلامي حق التعبير والنصح، كيف لا وكان الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم– يسمح لأصحابه بالتعبير عن مواقفهم ونصحهم له، واستفاد الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم– من تلك النصائح فنصيحة الحباب بن المنذر[٥٥] ورأيه للرسول –صلى الله عليه وآله وسلم– في معركة بدر ان يكون بئر بدرٍ خلف المسلمين في المعركة فكان لرأيه ونصيحته دور مهم في المعركة، واظهر النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– شرف اهل العلم والاخذ برأيهم والسماع لنصيحتهم فقال –صلى الله عليه وآله وسلم–: "ان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً بل ورثوا العلم ومن اخذه اخذ بحظ وافر"[٥٦]، وعمل سلاطين المماليك على تدعيم حق النصح والتعبير للعلماء، فحمل العلماء على عاتقهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واسداء النصح للحكام انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون﴾[٥٧]، وقوله تعالى: ﴿كنتم خير امةٍ اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو أمن اهل الكتاب لكان خيراً لهم ومنهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون﴾[٥٨]

وحق التعبير والنصح يصوب مسيرة الامة الاسلامية على الدوام دون كلل أو ملل، لان ذلك واجب شرعي فعلى الحاكم ان يسمع النصح من اهل العلم في دولته، وهو علاج للنفوس من امراض القلب، وانهاض للامة وحماية للحاكم من الزلات والثغرات[٥٩]، وان اعطاء حق التعبير والنصح ليس منةً من الحاكم على الرعية والعلماء بل هو واجب شرعي عليه وفرض عين على العلماء لحماية الامة وحفظها من التحلل والفساد[٦٠] وعندما اعطى سلاطين المماليك حق التعبير للعلماء والعامة والامراء انما اعطوه لصلاح المجتمع وصلاح حكمهم وتنقية المجتمع من الآفات وسوء الاخلاق وتنظيفه من الشوائب وحماية الحاكم والرعية من الزلل، وكان للعلماء دور بارز في نصح الحكام والتعبير عن موقفهم بكل جلية، في المقابل قرب السلاطين هؤلاء العلماء لحرصهم على احقاق الحق وتصويب الخطأ اذا وقع فيه فكان العلماء يقفون في وجه السلطان الظالم فأصبحوا موضع احترام من الشعب والحاكم[٦١].

٥٥– الحباب بن المنذر هو الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب ويكنى ابي عمرو وامه الشموس بنت حق بن امة بن حرام وكان لحباب من الولد خشرم وام جميل وامهما زينب بنت صيفي بن صخر بن خنساء من = = بني عبيد بن سلمة، والحباب هو خال المنذر بن عمرو الساعدي احد النقباء، وهو الذي قتل يوم بئر معونة، وقال له رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– اعنق ليموت، وشهد الحباب بدراً. انظر: ابن سعد، محمد بن منيع (ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج٣، ص٥٦٧.

٥٦– ابو داود، سليمان بن الاشعث الازدي (ت٢٧٥هـ) سنن ابي داوود، اعده وعلق عليه: عزت عبيد العاس وعادل السيد، (حمص: دار الحديث، ١٩٧٤م)، ج٣، ص٣٥٤؛ ابن حبان،محمد بن حبان بن احمد (ت٣٤٥هـ)، صحيح ابن حبان، ط١، تحقيق: شعيب الارنؤوط،(بيروت: بلا،١٩٨٨م)، ج١، ص٢٨٩.

٥٧– سورة ال عمران، اية، ١١٠٤.

٥٨– سورة ال عمران، اية، ١١٠.

٥٩– الماوردي، الاحكام السلطانية، ج١، ص١٨.

٦٠– المصدر نفسه، ج١، ص٢٠.

٦١– فرغلي، نعيم زكي، الحركة التاريخية،ط١،(بلا: دار العلم، ١٩٩٦م)، ص٥٧.

فكان السلطان المظفر قطز [٦٢] يسمع من العلماء فأخذ بنصيحة العز بن عبد السلام عندما خرج لمواجهة المغول واراد اخذ الضريبة من العامة فأشار عليه العز بن عبد السلام بتجريد الامراء من اموالهم وان لم تكفِ اموالهم تأخذ من العامة [٦٣]، فكان السلطان الظاهر بيبرس لا يبايع احداً من الخلفاء العباسيين الا استشار العز بن عبد السلام قبله واخذ بنصيحته [٦٤].

فأستشار سلاطين المماليك العلماء واخذوا بنصائحهم في كثير من الاحيان وكان لهم تأثير واضح على عامة الشعب[٦٥]، وكان رأيهم مسموعاً في حضرة سلاطين المماليك ولم تأخذهم في الله لومة لائم بل يصرحون برأيهم دون خوف حتى لو عارض رأيهم رأي السلطان نفسه [٦٦]، وفي سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م في عهد السلطان المنصور قلاوون حيث قام العلماء بنصحه الى ازالة المنكر واقامة الدين فأستجاب لهم واخذ برأيهم وسمع بنصيحتهم، فحارب مروجي الخمور وبائعيها، وحاصر بيوت الفواحش واغلقها وعاقب مرتاديها[٦٧]، وساهم سلاطين المماليك في تعزيز حق التعبير والنصح وذلك بإعطاء اهل الرأي مناصب عليا في الدولة ليكونوا سنداً لهم ويستنيروا بآرائهم في الامور العامة في الدولة فأسندت هذه المناصب العليا لمن هو مشهود له بحسن التعبير والنصيحة كمنصب قاضي القضاة، ومنصب المحتسب [٦٨]، فوافق السلاطين على آرائهم في مجالسهم فكانوا ينتقدوا سلوك الامراء في بعض الولايات فيستجيب السلطان لنصائحهم في بعض الولاة فيقيل من تثبت ادانته، وقد حث العلماء والفقهاء السلاطين على تقوى الله ولزوم طاعته والامر بالمعروف والنهي عن المنكر[٦٩]، وكان للعلماء دور مهم في نصح سلاطين المماليك لإحقاق الحق، فقام الشيخ محمد بن يوسف القونوي[٧٠]، بتقديم النصح للحكام وكان ينهاهم عن كل مخالفة يقومون بها، وكان لا يخشى في ابداء رأيه والتعبير عنه امام السلاطين والامراء وكان السلاطين والامراء لا يردون له مطلباً ويأخذون بنصيحته ورأيه وكانوا يهابونه لشدة حرصه على المسلمين[٧١]، ومن شدة حرص المسلمين على

٦٢- المظفر قطز: سيف الدين، قطز بن عبد الله المعزي الثالث من ملوك الترك بالديار المصرية، تسلطن بعد خلع ابن استاذه الملك المنصور علي بن الملك المعز ايبك التركماني في يوم السبت سابع عشر ذي القعدة سنة ٦٥٧هـ؛ وذلك بعد ان عظمت الاراجيف بقدوم التتار، وسبب خلع الملك المنصور: كونه كان صغيراً لا يدري تدبير الامور؛ فتسلطن قطز؛ ليقوم بدفع التتار عن البلاد، ولما تسلطن اخذ في تجهيز امره لقتال التتار. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٢٥؛ ابو المحاسن، مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل احمد، (القاهرة: دار الكتب المصرية، د.ت)، ج٢، ص٣٠.

٦٣- ابن اياس، ابو البركات محمد بن احمد (ت٩٣٠هـ / ١٥٢٣م) بدائع الزهوري وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، (القاهرة: الهيئة المصرية، ١٩٧٥م)، ج١، ص٣١٧.

٦٤- المصدر نفسه، ج١، ص٣١٨.

٦٥- فرغلي، الحركة، ص٥٧-٥٨.

٦٦- عبد التواب، عبد الرحمن محمود، الاشرف قاتيباي سيف الدين ابو النصر قاتيباي المحمودي، ط١ (القاهرة: الهيئة المصرية، ١٩٧٨م) ص١١٨.

٦٧- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٩٤٠.

٦٨- المقريزي، السلوك، ج١، ص٩٤٠.

٦٩- ابن حجر، ابناء الغمر، ج٨، ص٢٠١.

٧٠- الشيخ محمد بن يوسف القونوي: هو علاء الدين الشافعي ولد بقون. انظر: ابن شداد، عز الدين محمد بن علي (ت٦٨٤هـ/١٢٥٠م)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ج١، ص٤١٩.

٧١- المصدر نفسه، ج٨، ص١٧٩.

اهل التعبير والنصح من العلماء كانوا يقدمون لهم كل ما يحتاجونه ويسترضونهم في حال اعرضوا عن السلاطين وعن مجالسهم [٧٢].

وعبر الشيخ شمس الدين الدروطي [٧٣] عن رأيه في السلطان قنصوه الغوري وغضب السلطان منه لأنه حرض العامة على السلطان لتركه الجهاد، وقال السلطان: "انعم الله عليك وانت تقابله بالعصيان واصبحت سلطاناً للمسلمين بعد ان كنت عبداً مملوكاً فأخلص النية لله وأعطي المسلمين حقهم"[٧٤]، وعارض الشيخ امير الدين الاقصرائي [٧٥] السلطان قنصوه الغوري عندما اراد بعض الاثار والمقتنيات من مسجد بناه السلطان الناصر محمد بن قلاوون الى موقعه الجديد، فرفض الشيخ الا ان يكون النقل حسب شروط الواقف نفسه [٧٦]، وفي سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م اعترض قاضي القضاة شرف الدين المغربي [٧٧] على نائب السلطان في القدس مبارك شاه المملوكي [٧٨] عندما اراد تنفيذ حكم الاعدام في مجموعة من الفلاحين واراد قتلهم، فقال له قاضي القضاة معترضاً على ذلك: "انني لست موافقاً على تنفيذ حكم الاعدام فيهم وان قمت بذلك لأقتلنك معهم ولأعلقنك بجانبهم" [٧٩] فأنصاع الوالي الى اوامر قاضي القضاة، وابدى الشيخ دقيق العيد [٨٠] رأيه في فتوى اخذ المال من الرعية لاستخدامها في الحروب فرفض إعطاء هذه الفتوى مستنداً الى فتوى العز بن عبد السلام الذي رفض اعطاءها للسلطان المظفر قطز قبل ذلك [٨١].

وكان العلماء يلجأون الى عزل انفسهم عندما لا يؤخذ برأيهم وبنصائحهم من قبل السلاطين، فقام ابن حجر العسقلاني [٨٢] بعزل نفسه عندما لم يسمع السلطان الظاهر دقمق الى كلامه ونصائحه[٨٣]، ولم يثنيه عن قراره تهديد ووعيد السلطان له بمصادرة اولاده وامواله وأصر على موقفه [٨٤]، واستمع السلطان قيتباي المحمودي الى رأي الشيخ الاقصرائي بعدم جواز مصادرة اموال الاوقاف الاسلامية للأنفاق على الجيش

٧٢- الحنبلي، مجير الدين العليمي (ت٩٢٧هـ / ١٥٢٠م)، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباته، (عمان: مكتبة دنيس، ١٩٩٩م)، ج٢، ص١٠٧.

٧٣- الشيخ شمس الدين الدروطي: واعظ زاهد من مصر، كان يعمل بالجامع الازهر، وكان معروفاً بالجرأة مع السلطان، عفيفاً وواعظ قوي، توفي سنة ٩٢١هـ / ١٥١٥م وذلك في عهد السلطان قانصوه الغوري. ابن العماد،= = شذرات الذهب، ج٧، ص٢٨٨؛ الزركلي، خير الدين بن محمود، الاعلام، ط١٥،(بلا، دار العلم، ٢٠٠٢م)، ج٣، ص١٧٦.

٧٤- الماوردي، الاحكام السلطانية، ج١، ص٣٠.

٧٥- هو يحيى بن محمد بن ابراهيم الاقصرائي، من شيوخ الحنفية، وهو تركي الاصل، ولد وتوفي في مصر. الذهبي، سير، ج١٣، ص٢٥٣؛ الزركلي، الاعلام، ج٨، ص١٦٨.

٧٦- ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٨٥.

٧٧- شرف الدين المغربي: هو قاضي القضاة شرف الدين عيسى المغربي، كان يعمل في منصب القضاة في مدينة القدس زمن السلطان جقمق، وقيل عنه انه كان عالماً فاضلاً وورعاً. الذهبي، سير، ج٣، ص٢٣٤.

٧٨- مبارك شاه المملوكي: هو نائب السلطان على مدينة القدس وتولاها زمن السلطان الظاهر جقمق، سنة (٨٥٠هـ / ١٤٥١م) وكان يجل العلماء ويسمع لهم. الحنبلي، الانس الجليل، ج٢، ص٢٧٧.

٧٩- المصدر نفسه، ج٢، ص٢٤٨.

٨٠- الشيخ دقيق العيد: هو شيخ الاسلام تقي الله الدين ابو الفتوح القشيري كان يعمل قاضياً لمصر، وكان عالماً وشيخاً في عصره، ولد سنة (٦٢٥هـ / ١٢١٩م)، وتوفي سنة (٧٠٢هـ / ١٣٠١م). الذهبي، سير، ج١٣، ص٢٧٣.

٨١- السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ٢٤٢.

٨٢- ابن حجر العسقلاني: هو احمد بن علي الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر، ولد سنة (٧٧٣هـ / ١٣٧٣م) وهو علامة ومحدث وكان فقيه مصر والشام زمن المماليك وله باع طويل في العلوم. الذهبي، سير، ج٣، ٢٢٩.

٨٣- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٣٤٥.

٨٤- السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٤٢.

[٨٥]، وحثهم على اخذ اموال الامراء وحلي نسائهم فأجابه السلطان بذلك الطلب، وكان السلطان قيتباي المحمودي يأخذ بالنصيحة ويوفر حقوق التعبير عن الرأي ويأخذ بالنصائح ويعمل بها [٨٦]، واهتم سلاطين المماليك وامراؤهم بأهل النصح وقربوهم منهم كي يعينوهم على تطبيق شرع الله والامتثال لأوامر الشرع ولما يمثله اهل النصح من فقه وعلم وقدرة كبيرة في ايجاد الحلول للمشكلات فكان السلطان الظاهر بيبرس يحب مجالسة اهل الرأي والنصح ويحب ان يسمع نصائحهم ويلزم مجالستهم ويستشيرهم فيشيرون عليه[٨٧]، واعطت الدولة الحق في التعبير والنصح واستعان السلاطين بأهل التعبير والنصح بل وكان لهم مكانة مرموقة في الدولة، وتعاونوا هم والسلاطين في الوصول بالدولة الى بر الامان[٨٨]، وادرك سلاطين المماليك اهمية الاخذ بالرأي والنصح لما فيه من فوائدٍ للدولة وفيه ضمان لحفظ ولاء الرعية وجلب قلوبهم ومؤازرتهم في وقت المحن والشدائد [٨٩] في بعض الاحيان، تجاهل بعض سلاطين المماليك حق التعبير والنصح ما ادى الى حدوث اشكالات داخل الدولة مثلما حصل عندما تجاهلت الدولة اراء ونصح الشيخ ابن تيمية [٩٠] ما ادى الى حدوث اعتراضات جماهيرية على السلطان وخروج ثورة شعبية عليه سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م وادى الى حدوث شغب كبير [٩١].

ورعى سلاطين المماليك هذا الحق فالقاضي العلامة شمس الدين البايرتي (ت٨٥٥هـ / ١٤٥١م) [٩٢] سمع السلطان له ونفذ نصائحه واوامره، وله دور بارز في الحفاظ على امن الدولة وحفظ حقوق الرعية وتثبيت الاسعار وضبط التجار المخالفين [٩٣]، وتبوأ في الدولة اصحاب الرأي والنصح والتعبير مكانة عالية في الدولة وحافظوا على حقوق الامة من الايتام والفقراء والمساكين واصحاب الحاجة وتصدوا بأرائهم ونصحهم للفاسدين والسيئين والمنتفعين [٩٤]، وحموا الناس من شرور كثيرة وحفظوا المصالح العامة [٩٥]، وكرم سلاطين المماليك اهل التعبير والنصح في حياتهم وفي مماتهم، فعندما توفي ابن حجر العسقلاني خرج الجميع في وداعه بمن فيهم اهل الذمة وبكته البلاد عن بكرتها وتقدمهم السلطان والامراء وقاموا بدفنه بأنفسهم [٩٦]، ومن الواضح ان حق التعبير والنصح حفظه سلاطين المماليك حق الحفظ واعطوه جل الاهتمام حتى اصبح اهله قوة محورية في المجتمع الاسلامي وصمام امان للمدن الاسلامية وهم الرابط الاساسي بين المجتمع

٨٥- الذهبي، سير، ج١٣، ص٢٥٣.
٨٦- عبد التواب، قتباي، ص٥٠.
٨٧- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٠٩.
٨٨- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون،ط٥،(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٤م)، ص٢١٩-٢٢٠.
٨٩- المصدر نفسه، ص٢٢٠-٢٢١.
٩٠- الشيخ ابن تيمية: هو تقي الدين ابو العباس احمد شهاب الدين عبد الحليم ابن تيمية النميري الحراني، وكان من ائمة المذهب الحنبلي، ذهب الى دمشق وعمل بالتدريس والافتاء، وقد سجن وعذب لآرائه. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٦٩.
٩١- المصدر نفسه، ص٣٩٦.
٩٢- شمس الدين البايرتي: هو القاضي العلامة شمس الدين البايرتي توفي سنة (٨٥٥هـ / ١٤٥١م) وكان قوي الحجة صاحب هيبة. الحنبلي، الانس، ج٢، ص٢٤٢.
٩٣- المصدر نفسه، ص٢٤٢.
٩٤- المقريزي، السلوك، ج٢، ص٤٤٣.
٩٥- الحجي، صور من الحضارة، ص١١٧.
٩٦- المحبي، محمد امين بن فضل الله (ت١١١١هـ / ١٦٩٩م)، خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر،(بيروت: دار صادر، د.ت)، ج٣، ص٣٤.

وبين الحاكم[٩٧]، بل وتعدى الامر الى ان اصبح ظاهرة في مجتمع المماليك حيث عرف المجتمع هؤلاء الناس وقوتهم، وانهم من اصحاب الحق والتقوى والزهد وانه لا يضيع عندهم الحقوق، وانهم اصحاب حظوة عند السلطان فتقرب منهم العامة لإيصال مشاكلهم للسلطان ورفع عنهم بعض المظالم وارساء معالم الحكم الاسلامي الرشيد، وبروزهم في كافة الميادين الخاصة بالدولة [٩٨].

وفي سنة ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م تصدى القاضي عماد الدين البلبيسي[٩٩] لناظر السلطان الخاص وضد كبار المسؤولين ومنعهم من التعدي على اموال الايتام والعامة [١٠٠]، ومن الانصاف ذكر مساهمة سلاطين المماليك بحفظ حق التعبير والنصح في اغلب الاوقات وعلى طول سنوات حكمهم فشجعوا اصحاب الرأي واخذوا بأرائهم وسمعوا لأصحاب النصيحة وعملوا بنصيحتهم، بل قربوهم منهم واعطوهم المناصب العليا في الدولة ليكونوا سنداً لهم وحلقة وصل بينهم وبين الرعية مع وجود بعض الاوقات اضطهاد وغضب من السلطان على اصحاب الرأي والنصح لمخالفتهم لهواه الشخصي، وكانت هذه حوادث فردية من بعض السلاطين الذين كانوا يتعصبون لرأيهم ولا يرون الصواب الا ما فعلوا، وهذا يمثل الجانب المظلم لهؤلاء الحكام الذين انتهت فتراتهم باضطهاد لإصحاب الرأي والنصح.

ثالثاً: الحق في الشورى

عند الحديث عن الشورى فإننا نتحدث عن مبدأ راسخ في الشريعة الاسلامية، والذي يكون من خلال المناقشات والحوارات وتبادل الرأي التي تحث على القيم الاسلامية في الشريعة وذلك للوصول الى اقرب درجة من العدل والحق الذي وضعه الدين اساساً في الدولة الاسلامية، والشورى في المجتمع الاسلامي ليس كما يراد لها مجلساً سياسياً، انما هي تحت بند قول الرسول-صلى الله عليه وآله وسلم-: "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته" متفق عليه [١٠١]، ومبدأ الشورى هو مشاورة مجموعة من اهل الرأي والسداد بهدف الوصول الى قرار اكثر دقة وصواباً، وعني الحكام بحق الشورى وقربوا منهم اهل الشورى والعلم، وتفاخر السلاطين بتقربهم من اهل العلم ومشاورتهم لهم. وكما قال ابو الاسود الدؤلي [١٠٢]:

"الحكام ملوك على الناس والعلماء حكماء على الملوك"[١٠٣] ومن اجل ذلك قرب سلاطين المماليك العلماء إليهم وجعلوهم من رواد مجالسهم الدائمين وتعاونوا معهم لإصلاح امر البلاد والعباد، فاجتمعت

٩٧- لابدوس، ايرا، مدن الشام في العصر المملوكي، ط١، ترجمة: سهيل زكار، (دمشق: دار احسان، ١٩٨٥م)، ص١٧٣.

٩٨- المدني، رشاد عمر،الحياة العلمية في فلسطين في مرحلة الصراع الصليبي ٦٩٠هـ / ٤٩١م – ١٢٩١هـ / ١٠٩٨م) رسالة ماجستير غير منشورة، (الجامعة الاسلامية: كلية الاداب، ٢٠٠٥م)، ص١٩٢.

٩٩- عماد الدين البلبيسي: هو محمد بن اسحاق بن محمد مرتضى البلبيسي، عالم فقيه، ودرس العلم، ولي القضاء وعز، وكان محباً للفقراء مدافعاً عنهم، مات سنة (٧٤٩هـ / ١٣٤٨م). بداء الطاعون. ابن جبير، الدرر، ج٣، ص٤٧٣.

١٠٠- الحجي، صور من الحضارة، ص١١٤.

١٠١- البخاري، محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، صحيح البخاري، ط٣، تحقيق: ديب البغا،(بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٧م)، ص٨٥٣.

١٠٢- ابو الاسود الدؤلي: هو ظالم بن عمرو بن سفيان، كان من سادات التابعين واعيانهم، صحب علي بن ابي طالب -عليه السلام- ، وشهد معه واقعة حطين، وهو اول من تكلم في النحو بالصرة وهو الذي وضع التشكيل على اواخر الكلمات، وجعله بمداد الكلمة، وهو من قبيلة الدئل توفي سنة (٦٩هـ / ٦٨٨م). الداودي، شمس الدين محمد بن= =علي (ت٩٤٥هـ / ١٥٣٨م)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار، ط٢، تحقيق: بشار عواد، ومعروف وشعيب الارناؤوط،(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م).

١٠٣- ابن جماعة، بدر الدين، تذكرة السامع والمتكلم في ادب العالم والمتعلم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت)، ص١٠.

قوة العلم الموجودة في العلماء وقوة الحكم الموجودة في الحكام مما ينتج نظاماً سياسياً قوياً ويؤدي الى حفظ حقوق المواطنين، وتكون القيادة قوية مرهوبة الجانب تفرض قوتها وهيبتها على جيرانها، الامر الذي لا يتوفر الا بوجود علماء صالحين ورجال دولة اقوياء يأخذون من مشورتهم منهجاً لهم في كل صغيرة وكبيرة [١٠٤]، واستعان سلاطين المماليك بأمرائهم المخلصين ليكونوا لهم بطانة صالحة ويشاوروهم في امور دولتهم، مثلما استعان السلطان الناصر بن قلاوون بمجموعة من امرائه المخلصين وقربهم واستشارهم في امور الدولة[١٠٥]، ومع اتساع دولة المماليك واتساع نفوذهم كان السلاطين يستعينون في احوال كثيرة باستشارة كبار رجال الدولة في الكثير من المسائل والامور المهمة مثلما كان يفعل السلطان المنصور قلاوون [١٠٦]، وعين السلطان المنصور قلاوون الكثير من المستشارين اقتصرت مهمتهم على مساعدة السلطان في ادارة شؤون الحكم وادارة البلاد [١٠٧].

وقرب بعض سلاطين المماليك ائمة المذهب الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي في اسفارهم، وفي حلهم وترحالهم، وكانوا يستشيرونهم في امور الدولة[١٠٨]، وحظي القضاة باحترام سلاطين المماليك وشاوروهم في امور السلطنة وكانت كلمتهم مسموعة في مجالس السلاطين وقدروهم افضل تقدير، وحرصوا على استرضائهم واستشارتهم[١٠٩]، وعرف سلاطين المماليك قوة القضاة ومدى تأثيرهم في سياسة الدولة فوثقوا علاقتهم بهم وطلبوا مشورتهم وافتائهم في القضايا المهمة واخذ السلاطين بنصائحهم[١١٠]، واستشار سلاطين المماليك العلماء والفقهاء في امر الجهاد وتوجيه حملاتهم العسكرية واستشاروهم في الآيات والاحاديث الدالة على الجهاد والتمسك بالشريعة[١١١] واستفادوا منه في تقوية الجنود وتثبيت الجيوش في ساحات المعارك والدعاء للجيوش على المنابر بالنصر والتمكين[١١٢]، واستشار السلطان المظفر قطز سنة (٦٥٧هـ / ١٢٥٩م) العلماء والفقهاء والاعيان في امر مواجهة المغول[١١٣].

ولجأ سلاطين المماليك للفقهاء والعلماء في مشورتهم واتخاذ رأيهم في الحوادث التي تمر بالأمة من كرب او ألم، فقد استشار السلطان قطز العز بن عبد السلام بموضوع جمع الاموال من الاغنياء والتجار بعد نفاذ اموال الدولة لمحاربة المغول[١١٤]، وعمد السلطان المنصور قلاوون الى مشاورة الفقهاء والعلماء والمشايخ وكان

١٠٤- السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط١،(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م)، ج١، ص١٩٣.
١٠٥- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٣٢٦-٣٢٧.
١٠٦- عاشور، سعيد، العصر المماليكي في مصر والشام، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٦م)، ص٣٤٨وما بعدها.
١٠٧- حسن، علي ابراهيم، تاريخ المماليك البحرية، (بلا، مكتبة النهضة المصرية، د. ت)، ص٣٠٨-٣١٢.
١٠٨- القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٣٧.
١٠٩- الحجي، صور، ص٩٤-٩٥.
١١٠- المصدر نفسه، ص١٥٥.
١١١- القلقشندي، صبح الاعشى، ج٧، ص١٥٣.
١١٢- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٤٤.
١١٣- المغول: هم طائفة من التتار، والتتار هم شعب كبير من الامة التركية ومنهم تفرق معظم بطونها وافخاذها، فالتتار والمغول والترك من جنس واحد وهو جنس الترك الذي تشعب منه قبائل شتى منها السلاجقة والخوارزمية والتتار والمغول، والقفجاق، والخزر وغيرهم من الشعوب، نشأ المغول في الهضبة المعروفة باسم هضبة منغوليا شمالي صحراء جربي، وهي ارض واسعة تنعدم فيها بعض مقومات الحياة. حمدي، حافظ احمد، الدولة الخوارزمية والمغول (غزو جنكيز خان للعالم الاسلامي واثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية) ط١،(بلا: دار الفكر العربي، د.ت)، ص١٢٦-١٢٧.
١١٤- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٢٦٩.

يجمعهم على ربوةٍ يعقدوا عليها اجتماعهم ليأخذوا رأيهم ومشورتهم، وعقد السلطان الاشرف قايتباي [١١٥] مجالس الشورى في عهده وكان غالبيتهم من الفقهاء وكان يأخذ رأيهم في كل امور الدولة وكان يتقبل نقدهم لرأيه بكل ثقة وصبر[١١٦]، وكان يتواضع للعلماء ويحترم الرأي الاخر دون صلف او تكبر واستشار مجالس العلماء عندما اصاب الطاعون السلطنة في فترة حكمه فأشار عليه العلماء بإعلان التوبة الى الله ورفع المظالم عن الناس ورد الحقوق الى اهلها [١١٧].

وهرع السلاطين والامراء للأخذ برأي العلماء واهل المشورة في كل منزلة ومصيبة تصيب الامة والسلطنة[١١٨]، وعند تفرد سلاطين المماليك بأخذ القرارات ولا يتشاورون بها مع اهل العقد والحل فيقوموا باعتزال اماكنهم كما حصل مع القاضي ابن جماعة [١١٩] حينما رأى الفساد، فطلبه السلطان الاشرف زين الدين ابو المعالي (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) لاسترضائه وسؤاله عن اعتزاله، فقال له: "لقد اعدت ضمان المغاني [١٢٠] وهو عبارة عن مال يتم جبايته من مهنة الدعارة"، فرد عليه السلطان بأنه لا علم له بذلك قلم يوافق ابن جماعة على العودة الا بإصدار مرسوم سلطاني بإلغاء ذلك الضمان، وتم اذاعة المرسوم في جميع نواحي السلطنة[١٢١]، واسهم سلاطين المماليك في محاربة الفساد بعد استشارة الفقهاء والاجتماع بهم، وفعل السلطان الاشرف قايتباي ما اشار عليه العلماء من خطورة المفاسد والضرائب المجموعة من تجارة الحشيش والخمر وغيرها من المنكرات فقام بأبطالها على الفور[١٢٢]، وفي بعض الاحيان اشار العلماء الى السلاطين لأن بعض رجال الدولة يتربحون ويشاركون في الفساد فيقوم السلاطين بأبطال تلك الممارسات ومحاسبتهم ومراقبتهم[١٢٣]، وحين هاجم المغول بلاد الشام ومصر كان وضع البلاد في حالة من عدم الاستقرار وكان يتولى عرش مصر سلطان صبي صغير السن لا يقدر على مواجهه هذه الاخطار بنفسه[١٢٤]، وكان من كبار الامراء في ذلك الوقت الامير سيف الاسلام قطز، واستمر وضع البلاد في التردي لان

١١٥- قايتباي: ولد سنة ١٤٢١ في بلاد القفجاق وهي بلاد من اقاليم نهر الفولجا في روسيا الان وهي كانت من اهم اسواق العبيد الذين يباعون ومن ثم يكونوا مماليك في الدولة العباسية، واشتراه سلطان مصر حينها الملك الاشرف برسباي واصبح مملوكاً وأرسله ليتعلم ويتدرب مع باقي المماليك، وبعد وفاة الاشرف برسباي وصل الظاهر جقمق عن طريق الشراء وعين جمدار ثم خاصكي ثم اصبح دوادار وفي اخر الامر اعتقه وتركه في الجيش واخذ في الترقي الى ان وصل اتابك – قائد الجيش في عهد السلطان تمربغا الذي عينه في هذا المنصب بعد تنصيبه سلطان مصر، ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٩٠.

١١٦- ابن طالون، مفاكهة، ص٢٦٢.

١١٧- ابن جبير، الدرر، ج٤، ص٢٠١.

١١٨- المصدر نفسه، ج٤، ص٢٠١.

١١٩- ابن جماعة: هو عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة، عز الدين قاضي المسلمين ولد سنة (٦٩٤هـ / ١٢٩٥م) اكثر من طلب العلم والدروس والقراءة واجاز له كبار المشايخ ودرس الحديث والفقه، كان متبحراً في رواية الحديث، كان قوي الحجة، حسن الاخلاق، ولي قضاة مصر سنة ٧٣٨هـ / ١٣٣٨، كان حسن المحاضرة، سلين النية محباً للعلم والفضل، عزل نفسه عن القضاة نهاية سنة ٧٦٦هـ، توفي سنة ٧٦٧هـ / ١٣٦٦م. ابن جبير، الدرر، ص٤٩٠.

١٢٠- ضمان المغاني: وهي ضريبة يدفعها كل من يقيم عرساً او يحتفل بمناسبة سعيدة مثل الختان وغيرها، المقريزي، السلوك، ج٣، ص٢٦٦.

١٢١- الذهبي، تاريخ الاسلام، ط١، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري،(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م)، ج١٤، ص٣٥٤.

١٢٢- المقريزي، السلوك، ج٥، ص٥.

١٢٣- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٩١.

١٢٤- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٥٤.

السلطان نور الدين علي [١٢٥] لم يقدر على توجيه الامور وكان يقضي الاوقات في اللعب واللهو وركوب الحمير واللعب في الحمام [١٢٦].

ولا بد للأمير قطز من اخذ الاجراء المناسب لحماية الدولة والرعية من هذا الخطر الداهم، فعقد الامير قطز مجلس الشورى المكون من الفقهاء والقضاة من امثال العز بن عبد السلام وقاضي القضاة بدر الدين حسن سنجاري[١٢٧]، واستشارهم الامير سيف الدين قطز في اخذ الاموال من الرعية لانفاقها على الحرب، واستشارهم ايضاً في موضوع السلطان انه صبي ولا يقدر على ادارة البلاد وادارة الحرب القادمة من المغول[١٢٨]، وقال ان البلاد لا تستقيم الا على سلطان قادر وقاهر يقدر على قهر هذا العدو، والملك الصبي صغير ولا يعرف تدبير الملك [١٢٩]، واتفق الحاضرون للمجلس على توليته لأنه رجل قادر ونائب السلطان في سنة (٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م)[١٣٠]، ولقبوه بالسلطان المظفر ووافق الجميع على تعيينه[١٣١]، وقام السلطان المظفر قطز بعمل مجلس شورى حربي للرد على رسالة هولاكو له بالتسليم، فجمع الامراء وشاورهم في امر الرسالة بعد ان قرأها عليهم فأشار عليه الامراء انه لابد من مواجهه هذا العدوان لان المغول ليس لهم امان ولا عهد وأشار عليه الامير الظاهر بيبرس ان يقوم بقتل الرسل والتوجه موحدين الى المعركة اذا انتصرنا او هزمنا في تلك الحالتين نكون معذورين، واجمع مجلس الشورى الحرب على هذه الخطة ووافق عليه السلطان قطز[١٣٢]، وكان بعض سلاطين المماليك يستخدمون مجالس الشورى فقط، لتمرير قرارتهم واعطائها الطابع الشرعي فقط واستفاد السلاطين من هذه الناحية فائدة كبيرة وخاصة من الخلفاء العباسيين الذين كان يعينهم السلطان، وكانت مهمة الخليفة رمزية اكثر من ان تكون فعلية فكانت مهمة الخليفة في مجالس الشورى الموافقة على رأي السلطان في اي امر يريده مثل شن حرب وعقد صلح او فرض ضرائب جديدة على الناس [١٣٣].

فكان الخليفة المستنجد بالله [١٣٤] احد اعضاء مجلس الشورى الذي عقده الاشرف قايتباي سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م للنظر في اموال الاوقاف الموجودة على المساجد ومحاولة الاستيلاء على جزء منها لتجهيز الجيش

١٢٥- نور الدين علي: ابن السلطان المعز ايبك تم تنصيبه سلطاناً وهو في سن الخامسة عشر في ربيع الاول سنة (٦٥٥هـ / ١٢٥٧م) ولقبوه الملك المنصور علي، ورفض المماليك الاعتراف بالسلطان الصبي مما ادى الى اضطرابات داخل السلطنة. الذهبي، سير، ج٢٣، ص٢٠٠.

١٢٦- قاسم، عبده، قاسم، السلطان المظفر سيف الدين قطز بطل معركة عين جالوت، ط١،(دمشق: دار القلم، ١٩٩٨م)، ص٨٣.

١٢٧- بدر الدين حسن سنجاري: قاضي القضاة بدر الدين، ابو المحاسن السنجاري، الشافعي، الزرزاري، كان صدراً محتشماً، وجواداً ممدحاً. تقدم بسنجار وتلك البلاد عند الملك الاشرف، فلما تملك دمشق ولي قضاء البقاع وبغلبك والزيداني، وكان له نواب في بعضها وكتبوا له في سجلاته قاضي القضاة. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤٩، ص١٦٢.

١٢٨- المصدر نفسه، ص٨٨.

١٢٩- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٥٥.

١٣٠- المقريزي، السلوك، ج١، ص٤١٧.

١٣١- قاسم، السلطان المظفر، ص٩٠.

١٣٢- خليل، عماد الدين، دراسات تاريخية، ط٢،(بلا: دار كثير، ٢٠١٤م)، ص٨٤.

١٣٣- الداوداري،ابو بكر بن عبد الله بن ايبك (ت٧٣٦هـ / ١٣٣٥م)، الدرة الزكية في اخبار الدولة التركية (الجزء الثامن من كتاب كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: اولرخ هارمان،(القاهرة: المعهد الالماني، ١٩٧١م)، ج٩، ص٧٩.

١٣٤- المستنجد بالله: ابوالمظفر يوسف بن محمد (٥١٨-٥٦٦هـ / ١١٢٤-١١٧٠م)، كان الخليفة العباسي الثالث والثلاثين، حكم بغداد بين عامي (٥٥٠-٥٦٦هـ / ١١٦٠-١١٧٠م)، كان ابن الخليفة السابق له المقتفى بالله، وصف بالعدل. حيث كان شديداً على المفسدين. كما كان ذكياً وله معرفة بالفلك. للتفصيل انظر: الصفدي، فوات الوفيات، ج١، ص١٣٧.

بما يحتاجون إليه، وكان رأي الخليفة موافقاً لرأي السلطان لإعطاء شرعية للقرار[١٣٥]، واستخدم السلطان الظاهر جقمق [١٣٦] الخليفة والقضاة الاربعة السلطان العزيز يوسف بن الملك الاشرف برسباي سنة ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م وعمل مجلس شورى صورياً فقط لإعطاء الموضوع شرعية للاستيلاء على السلطة مرجعين الامر الى صغر سن السلطان، وان الامور لا تصلح الا بتولية الامير الكبير جقمق لتوحيد كلمة الامة [١٣٧].

وفي بعض الظروف كان سلاطين المماليك يستبدون بالرأي ويقرون ما يريدون دون الرجوع الى احد، كما فعل السلطان الناصر محمد بن قلاوون لما غضب على الخليفة المستكفي بالله[١٣٨]،لأنه طلب السلطان الى مجلس الشرع الشريف فشق ذلك على السلطان وهو الآمر الناهي في الدولة ان يذهب لمجلس دون علمه [١٣٩]، وشكل سلاطين المماليك مجالس شورى وهمية شكلية فقط من قضاة المذاهب الاربعة لعزل الخليفة لان تعيينه لابد ان يحظى بمبايعة السلطان والقضاة للمذاهب الفقهية الاربعة [١٤٠]، وكان بعض الامراء يستخدمون قوة نفوذهم لفرض ما يردون بالقوة على مجالس الشورى، كما فعل السلطان الناصر محمد مع الخليفة المستكفي بالله سنة ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م [١٤١]، وكما فعل الامير شيخون الناصري[١٤٢].

عندما توفى الحاكم بأمر الله احمد بن المستكفي سنة(٧٥٤هـ / ١٣٥٣م) دون ان يعهد لاحد بالخلافة بعده [١٤٣]، فعقد مجلس للتشاور كان بحضور السلطان الصالح بن الناصر محمد ومجموعة من القضاة والامراء، وتم الاختيار ان يتولى الخليفة ابي بكر بن المستكفي بالله ابي الربيع سليمان وهو ما اراده الامير شيخون [١٤٤]، وفي حين كان يصل الى السلطان ان الامور لا تسير في صالحه، مثل ما وقع مع السلطان بيبرس الجاشنكر حيث انظم الامراء الى الامير محمد بن قلاوون عقد مجلساً ليشاورهم في الامر فطلب من الخليفة وبموافقة المجلس المنعقد ان يبايع الخليفة المستكفي بيعة جديدة لإعادة الاستقرار الى البلاد، فوافق

١٣٥- ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٤.

١٣٦- ابن حجر، انباء الغمر، ج٩، ص٣٩.

١٣٧- ابن جبير، الدرر، ج٢، ص١٤١-١٤٥.

١٣٨- المستكفي بالله: ابو القاسم عبد الله بن المكتفي وامه ام ولد اسمها غصين، بويع له لعشر بقين من صفر سنة ٣٣٣هـ، وخلع وسملت عيناه في سنة ٣٣٤هـ فكانت خلافته سنة واربعة اشهر. للتفصيل انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٢٢٢؛ القلقشندي، مأثر الانافة، ج١، ٣٠٢.

١٣٩- السيوطي، الامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ / ١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، ط١، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد،(مصر: مطبعة السعادة، ١٣٧١هـ)، ص٧٧٢-٧٧٣.

١٤٠- اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى (ت٧٥٩هـ / ١٣٥٨م)، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، ط١، تحقيق: احمد حطيط،(بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٦م)، ص٨٧.

١٤١- الصفدي، الوافي، ج١٥، ص٣٥٠.

١٤٢- شيخون الناصري: من الامراء الذين عظم شأنهم في عهد الناصر حسن، توفي سنة(٧٥٨هـ / ١٣٥٧م). ابن جبير، الدرر، ج٢، ص١٩٦-١٩٧.

١٤٣- ابن دقمان، برهان الدين (ت٨٠٩هـ / ١٤٠٦م)، الجواهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٥م)، ص١٩٠.

١٤٤- ابن اياس، جواهر السلوك في امر الخلفاء والملوك، ط١، تحقيق: محمد زينهم ومحمد عزب،(القاهرة: الدار الثقافية، ٢٠٠٦م)، ص٤١٠.

المجلس المنعقد على الطلب وقام السلطان بأرسال كتاب البيعة مع الامير بهادر[١٤٥] الى الامير بزلغي [١٤٦] حتى يستميل جنود الشام الى صالحه لكن دون جدوى [١٤٧].

وبذلك يمكن القول ان سلاطين المماليك استخدموا الحق في الشورى في كافة فترات حكمهم كي يستخدموه إما في نصرة الحق وفي تفضيل الحق كواجب شرعي حيث علية الدين الاسلامي وشرط من شروط الحكم، ومنهم من استخدمه ليكون غطاء لتنفيذ ما يريده من خلال عقد مجالس شورى وهمية يكون هو فيها صاحب القرار الاول والاخير وتكون مجالس لا قيمة لها مهمتها فقط شرعنة ما يريده السلطان فقط لا غير.

رابعاً: الحق في المساواة بين المسلمين.

وصلت دولة المماليك الى الحكم في نهاية الدولة الايوبية، وكان يسودها الضعف والتفكك ما ادى الى ضياع حق المساواة بين المسلمين، وأكل قويهم ضعيفهم، فعمل سلاطين المماليك على تحسين تلك الاوضاع من خلال جهاز قضائي قادر على اقامة العدل والمساواة بين المسلمين، وكان السلطان المنصور قلاوون يقوم بالعدل وإنصاف الرعية والتخفيف عنها فأبطل العديد من المظالم [١٤٨] وعمل السلطان على حل مشاكل الرعية والمساواة بينهم في كل مشاكلهم، وكان كاتب السر [١٤٩] يقوم بكتب المراسيم لقضاء حوائج المواطنين [١٥٠]، ويسجل للسلطان المنصور قلاوون حتى في شراء المماليك انه لم يكن يميل الى جنس بعينه، وكان يختار الاقوياء النجباء ما ميزه عن غيره، [١٥١] وقد وازن السلطان المنصور قلاوون بين المذاهب الاربعة واوقف لها مدارس لتدريس الفقه [١٥٢]، طالب المدرسين بالإنصاف والمساواة بين الطلاب وان يحسن التلطف مع الطلب والاياناس [١٥٣]، وساوى السلطان في الضرائب التي تؤخذ من تجار المسلمين فأخذ منهم الحقوق السلطانية فقط [١٥٤]، وحرص السلطان برقوق على المساواة بين الامراء كي لا يقع تمرد داخل المملكة وكان الامير اينال اليوسفي[١٥٥] يحرض على الامير بركة لكن السلطان برقوق كان شديد الحرص كي لا تكون الوشاية ناتجة عن كره الامير اليوسفي للأمير بركة [١٥٦]، وكان القضاء قوياً في عهد دولة

١٤٥- بهادر عبدالله التركماني: توفي سنة (٧٣٩هـ / ١٣٣٨م)، ابن جبير، الدرر، ج١، ص٤٧٦-٤٧٧.

١٤٦- بزلغي: هو من مماليك الاشرف خليل بن قلاوون، توفي سنة (٧١١هـ / ١٣١١م). ابن جبير، الدرر، ج١، ص٤٧٦.

١٤٧- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٧.

١٤٨- المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٦٦٤.

١٤٩- كاتب السر: هو موظف في الدولة وظيفته التوقيع عن السلطان والاطلاع على اسراره الذي يكاتب بها وهو من يصدر كتب الولايات والعزل، ومن واجبه عرض القصص على السلطان وشرحها له ليضع السلطان فيها رأيه ويحكم فيها بالعدل. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٣٠.

١٥٠- ابن اياس، بدائع الزهور، ص٩٢٥.

١٥١- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٣٢٧.

١٥٢- المقريزي، المواعظ، ج٢، ص٣٨٠.

١٥٣- ابن عبد الظاهر، محي الدين ابو الفضل عبد الله(ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م)، تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور قلاوون، تحقيق: مراد كامل، (القاهرة: الشركة العربية، ١٩٦١م)، ص٢٢٦-٢٢٧.

١٥٤- عاشور، العصر المماليكي، ص٢٨٦.

١٥٥- اينال اليوسفي استقر اتابك العساكر في دولة الصالح حاجي ابن الاشرف وولي قبل ذلك نيابة طرابلس ثم نيابة حلب وفي ولايته على حلب جردت العساكر من مصر والشام وحلب. ابن جبير، الدرر، ج١، ص٥١٦.

١٥٦- ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ص٢٤٢-٢٤٣.

المماليك ومن حق القاضي ان يستمع للشهود واخذ منهم اهل الخيرة ويطبق عليهم قانون الجرح والتعديل كي لا يثق بهم[١٥٧].

ليتحقق مبدأ النزاهة والشفافية والمساواة بين الخصوم، ووجوب توفر شروط الامانة والعدالة والنزاهة وتحري الصدق والشهادة بالحق، وفي حال عدم توفر هذه الشروط يجرحه القاضي ولا يقبل منه شهادة، وساوى سلاطين المماليك بين افراد الرعية وأنشأ السلطان الظاهر بيبرس دار العدل [١٥٨] سنة (٦٦١هـ / ١٢٦٢م) وكان يجلس بنفسه للنظر في المظالم، والقضاة يحيطون به ولا يغادر دار العدل الا وحل جميع المشكلات المستعصية [١٥٩]، وتناقش في دار العدل القضايا العامة او القضايا التي يعجز القضاء العادي عن حلها ويكون المعتدي من اصحاب النفوذ والجاه فلا يستطيع القضاء تنفيذ الحكم عليه فتحال الى السلطان او نائبه في الثغر المعين، وقد يكون الوالي نفسه هو المعتدي فيتم المساواة بين المعتدي والمعتدي عليه امام السلطان وينصف المظلوم ويعاقب الظالم مهما كان شأنه [١٦٠]، وشهدت دولة المماليك الكثير من الهجرات من الدول الاسلامية الاخرى وصارت الدولة ارض امن وامان ومساواة بين المسلمين بعد ما ساد الرعب والفزع والهلع فهاجر الى مصر العديد من اهل الاندلس واهل المغرب العربي ومن بغداد هرباً من وحشية المغول [١٦١]، وسار الى مصر الكثير من المسلمين من شتى بلاد الاسلام ونعم المواطنون فيها بالرخاء في ظل الامن والامان والعدل والمساواة التي توفرت في الدولة في عهد المماليك في سنة (٩٠٦هـ / ١٥٠٠م). عندما استولى الفرنج على غرناطة هاجر الكثير من اهل غرناطة الى ارض دولة المماليك [١٦٢]، وعكف سلاطين المماليك على ارجاء الحقوق الى اصحابها، ورد المظالم حتى من كبار رجال الدولة الى الناس، إحقاقاً لمبدأ المساواة بين المواطنين. وانه لا يوجد احد فوق القانون، فاشتكى رجل على احد الامراء، فامر السلطان ان يضرب بالمقارع وسلم الى والي القاهرة ليخلص منه المال فضربه الوالي واهانه ثم سجنه في سجن خزانة شمائل سنة (٧٩٣هـ / ١٣٩١م) [١٦٣]، وامر السلطان باعتقال افيغا المارديني نائب السلطان في الوجه القبلي بمصر، وضرب حتى تخلص منه حقوق الناس [١٦٤].

وكان السلطان الناصر محمد بن قلاوون [١٦٥] شديد الحرص على المساواة في الرعية لأنها اساس العدل وبها تستقيم له الامور، وواجه الظالمين وحاكمهم وامن الناس ورفع عن كاهلهم الظلم، وتسلط الامراء عليهم

١٥٧- ابن خلدون، المقدمة، ص٢٦٤.

١٥٨- دار العدل: هو الدار الذي اجتمع فيه السلطان الظاهر بيبرس والامير جمال الدين ايد غدي العزيزي والذي اشار على السلطان الظاهر بان يولي من كل مذهب من المذاهب الاربعة قاضياً مستقلاً يحكم بمقتضى مذهبه، فأجابه الى ذلك وتم عقد اجتماع في هذه الدار يوم الاثنين ٢٢ ذي الحجة سنة ٦٦٢هـ، حيث اقتضى السلطان تعيين قاضي = = قضاة لكل مذهب من المذاهب الاربعة، مع بقاء الرئاسة للشافعية. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٤٥-٢٤٨.

١٥٩- ابن جماعة، تذكرة السامع، ص١٠.

١٦٠- الجبوري، جميل عائد علي، دراسات في الحضارة الاسلامية،ط١، (المدينة المنورة: مطابع الرشيد، ١٩٩١م)، ص١٢٢.

١٦١- السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص٢٨٢.

١٦٢- المصدر نفسه، ج٦، ص١٢٨.

١٦٣- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢١.

١٦٤- المصدر نفسه، ج١٢، ص١٩.

١٦٥- الناصر محمد بن قلاوون: ولد بالقاهرة سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م- توفي بالقاهرة في ٧٤١هـ / ١٣٤١م، اصغر ابناء السلطان المنصور قلاوون، والاخ الاصغر للسلطان الاشرف خليل. ولد بقلعة الجبل بالقاهرة بعد اغتيال السلطان الاشرف خليل في ديسمبر ١٢٩٣م، اتفق الامراء على تنصيب اخيه الصغير ناصر الدين محمد، تاسع سلاطين المماليك البحرية. لقب بأبي المعالي، وبأبي الفتح. جلس على عرش السلطنة ثلاث مرات. ابو المعالي، الوفيات، ج١، ص٣٨٨.

وحرص كل الحرص على ارضاء المواطنين، وكان يكره ان يوصف بالظالم او المتسلط فكان يرعى المواطنين ويرضيهم [١٦٦]، وازال عن المواطنين الكثير من الظلم والعناء وازال الرشوة وساد جو من المساواة بين افراد الرعية [١٦٧]، وتحرى عدم كره الرعية له، وكان يحب ان يراهم في المدن والشوارع [١٦٨]، وسعى الى تحويل حياة الرعية من ظلم عن عدل ومن شقاء الى رخاء [١٦٩]، وصف الشيخ ابن تيمية السلطان بانه عامل من اجل مصلحة الاسلام والمسلمين على الرغم من حبس السلطان له، وابطل السلطان بعض القرارات التي تمس الرعية بالضرر [١٧٠]، وساوى قاضي القضاة شرف الدين المغربي بين الرعية ونائب السلطان في القدس حين اراد تنفيذ حكم الاعدام في بعض الفلاحين دون احكام ودون الرجوع الى القاضي فأصر النائب على موقفه فقال له القاضي: "والله لو عدمتهم لأقتلنك وانت بلباس السلطان ولاعلقنك الى جانبهم"، ولم يجرأ نائب السلطان على اعدامهم [١٧١].

ومع ذكر محاسن دولة المماليك في المساواة بين المسلمين الا ان هذا لا ينكر حقيقة ان مجتمع المماليك كان مجتمعاً طبقياً موزعاً، فتكون من الطبقة الحاكمة المكونة من السلاطين والامراء وكبار الملاك والاقطاعيين واتباعهم في الدول، وتمتعت تلك الفئة بجميع الامتيازات داخل الدولة وكانوا اصحاب اليد الطولى في البلاد[١٧٢]، وهيمنوا على شؤون البلاد ومنهم من انغمس بالمفاسد واعتدوا على طوائف الشعب المختلفة، والطبقة الثانية طبقة رجال الدين وهم طائفة مميزة من الشعب كانت متفقهة في الدين واموره وعارفة بتعاليمه واحكامه، فكانت قريبة من الطبقة الحاكمة في اغلب الاحيان، ومنهم فئة وليتّ بعض الوظائف العامة التابعة للحكام كأمانة السر والقضاة وديوان الانشاء، وفئة اخرى اكتفت بالتدريس والخطابة، وبعضهم تفرغ للعلم فقط، وفي بعض الاحيان تتعارض هذه الطبقة مع الطبقة الحاكمة لخروج الطبقة الحاكمة عن تعاليم الدين وتجاوز المصلحة العامة [١٧٣].

ورجال هذه الطبقة لا يخشون في الله لومة لائم، وينطقون بالحق امام السلطان دون خوف منه او وجل [١٧٤]، مثلما فعل الشيخ محي الدين النووي [١٧٥] مع السلطان الظاهر بيبرس حينما لم يوافقه على جمع الاموال من الناس للخروج للقتال ما اغضب السلطان منه وقام بطرده من مجلسه[١٧٦]، وساهمت هذه

١٦٦- الحجي، السلطان الناصر، ص٢٩.
١٦٧- ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص٣٥.
١٦٨- المقريزي، السلوك، ج٢، ص٢٢٨.
١٦٩- الدوادري، كنز الدرر، ج٩، ص٩٨.
١٧٠- المصدر نفسه، ج٩، ص٩٨.
١٧١- الحنبلي، مجير الدين العليمي (ت٩٢٧هـ / ١٥٢٠م)، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباته، عمان: مكتبة دنيس، ١٩٩٩م، ج٢، ص٢٤٨.
١٧٢- بن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٦، ص٦٧.
١٧٣- الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٣٦٦.
١٧٤- ابن الوردي، تتمة المختصر، ج٢، ص٢٢٥.
١٧٥- النووي: يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن حزام بن جمعة النووي الشيخ العلامة محيي الدين ابو زكريا شيخ الاسلام استاذ المتأخرين وحجة الله على اللاحقين والداعي الى سبيل السالفين كان يحيى رحمه الله سيداً وليثاً على النفس، وزاهداً لم يبال بخراب الدنيا اذا صير دينه ربعا معموراً له الزهد والقناعة ومتابعة السالفين من اهل السنة والجماعة والمصابرة على انواع الخير، لا يصرف ساعة في غير طاعة هذا مع التفنن في اصناف العلوم فقهاً ومتون واحاديث واسماء رجال ولغة وتصوفاً وغير ذلك. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٣٩٥.
١٧٦- السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص١٠٥.

الطائفة بخدمة الامة خدمات جليلة وكانت حريصة على مصالح الامة اكثر من ارضائها للحكام، وكانوا في اغلب الاحيان لا يتقاضون اجراً مقابل اعمالهم [١٧٧]، والطوائف الاخرى من طوائف الشعب المختلفة من الفلاحين والتجار والصناع والعوام، فكانت تعامل في ظل دولة المماليك معاملة واحدة لانهم يعدون طبقة دونية في المجتمع ينظر إليها نظرة ازدراء من الطبقة الحاكمة [١٧٨]، ويشكل الفلاحون العدد الاكبر من هذه الطوائف، وكان يعاني الفلاحون من سوء وانعدام المساواة فكان ينظر للفلاح على انه للعمل فقط وليس له اي حقوق اخرى ويعد الفلاح مصطلحاً للشتيمة اذا كان احدهم يريد ان يشتم الاخر يقول له يا فلاح، وغير انهم كانوا يقهرون على العمل عنوة وإلزامهم بالعمل في كافة الظروف وتناسوا ان الفلاح حر وهو امير نفسه وهو سيد نفسه، [١٧٩]، لم يكن الفلاحون يسمح لهم بالتمتع بأبسط الحقوق ومبادئ الحرية فلا يستطيع ان يتحرك كيفما يشاء، ولا يلبس كما شاء ولا يركب فرساً فهضمت حقوقهم بالكامل وكانت تؤخذ الغلال الى المخازن السلطانية [١٨٠]، وكان حال اصحاب الحرف الاخرى افضل بقليل من الفلاحين فكان لهم نقابات تدافع عن حقوقهم في بعض الاحيان [١٨١].

وكانت فئة الاعراب فئة مستقلة لها نمطها الخاص في الحياة، وكانت تفتش عن المراعي، وكانت منعزلة بعض الشيء عن المجتمع [١٨٢]، تميز عصر المماليك بالمساواة بين الرعية، ويرجع السبب الى ذلك ان المماليك ليسوا من سكان هذه البلاد بل جاؤوا إليها عبيداً واشتراهم الايوبيون، واهلتهم قدراتهم القتالية وشجاعتهم على الوصول الى منصب السلطان فكانوا يحرصون كل الحرص على المساواة بين افراد الرعية لضمان استمرار حكمهم، وكانوا عبارة عن طبقة اقطاعية توزع فيها الاقطاعات حسب تفوق الجندي وشجاعته والخدمات التي يؤديها الى السلطان، ما ادى مع مرور الوقت الى تكون حواجز بينهم وبين طوائف الشعب الاخرى واستبدادهم لتلك الطوائف في بعض الاحيان، ما سبب انعدام المساواة وتسلط الطبقة الحاكمة على باقي الطبقات[١٨٣]

الخاتمة

من خلال هذا البحث توصلنا الى النتائج الآتية:

١- ان المماليك كان لهم الحق في التدرج في الدولة، والوصول الى المناصب العليا، ومن هنا نرى ان حق المشاركة في الحكم هو حق اصيل داخل سلطة المماليك.

٢- عمل سلاطين المماليك على تدعيم النصح والتعبير للعلماء والعامة والامراء، فحمل العلماء على عاتقهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، واسداء النصح للحكام، لان حق التعبير والنصح يصوب

١٧٧- ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص٣٢٥.
١٧٨- الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٣٦٧.
١٧٩- السبكي، معيد النعم ومبيد النغم، ط١، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٦م)، ص٣٤.
١٨٠- المصدر نفسه، ص٤٤.
١٨١- ابن منقذ، ابو المظفر مؤيد الله مجد الدين اسامة بن مرشد (٥٨٤هـ) الاعتبار، تحرير: فيليب حتي، (مصر: مكتبة الثقافة الدينية،د. ت)، ص١٧٩.
١٨٢- السبكي، معيد النعم، ص٥٤.
١٨٣- المصدر نفسه، ص٥٥.

مسيرة الامة الاسلامية على الدوام، وعندما اعطى سلاطين المماليك حق التعبير للعلماء والعامة، انما اعطوه لصلاح المجتمع وصلاح حكمهم، وتنقية المجتمع من الآفات، وسوء الاخلاق

٣- من منطلق ان مبدأ الشورى هو مبدأ قائم على مشاورة مجموعة من اهل الرأي والسداد، وبهدف الوصول الى قرار اكثر دقة وصواباً، واستناداً الى قول أبي الاسود الدؤلي "الحكام ملوك على الناس والعلماء حكماء على الملوك"، قرب سلاطين المماليك العلماء إليهم وجعلوهم من رواد مجالسهم الدائمين وتعاونوا معهم لإصلاح امر البلاد والعباد، واستعانوا بأمرائهم المخلصين ليكونوا لهم بطانة صالحة ويشاورنهم في امور دولتهم. لذلك يمكن القول ان سلاطين المماليك استخدموا مبدأ الحق في الشورى في كافة فترات حكمهم.

٤- ليتحقق مبدأ النزاهة والشفافية والمساواة بين الناس، ووجوب توفر شروط الامانة والعدالة والنزاهة، وتحري الصدق والشهادة بالحق، عمل سلاطين المماليك على وضع نظام قضائي قادر على اقامة العدل والمساواة بين الناس، حيث عكف سلاطين المماليك على ارجاع الحقوق الى اصحابها، ورد المظالم حتى من كبار رجال الدولة الى الناس، إحقاقاً لمبدأ المساواة بين المواطنين، وانه لا يوجد احد فوق القانون.

قائمة المصادر والمراجع

- القران الكريم

اولاً: المصادر الاولية

1- المخطوطات:

-القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور المغربي (ت٣٦٣هـ / ٩٧٣م).

١- مختصر الاثار، نسخة خطية مصورة في مكتبة الدكتور حيدر الكربلائي.

2- المصادر الاولية العامة

- الابشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد (من اعلام القرن التاسع الهجري).

٢- المستطرف في كل فن مستظرف، ط١ (بيروت: دار الندى للطباعة، ٢٠٠٤م).

- ابن اياس، ابو البركات محمد بن احمد (ت٩٣٠هـ / ١٥٢٣م).

٣- بدائع الزهورفي وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، (القاهرة: الهيئة المصرية، ١٩٧٥م).

- البخاري، محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ / ٨٦٩م).

٤- صحيح البخاري، ط٣، تحقيق: ديب البغا،(بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٧م).

- ابن تغري بردي يوسف بن تغري بن عبد الله (ت٨٧٤هـ / ١٤٧٠م).

٥- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١ (مصر: وزارة الثقافة،د.ت).

٦- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد امين، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، د. ت).

- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت٤٢٩هـ / ١٠٣٨م).

٧- تحفة الوزراء، ط١، تحقيق: سعد أبو دية، (عمان: دار البشر للطباعة، ١٩٩٣م).

- ابن جبير محمد بن احمد (ت٦١٤هـ / ١٢١٧م).

٨- الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، ط٢، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان،(الهند: دائرة المعارف،١٩٧٢م).
- ابن جماعة، بدر الدين
٩- تذكرة السامع والمتكلم في ادب العالم والمتعلم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت).
- ابن حبان، محمد بن حبان بن احمد (ت٣٤٥هـ).
١٠- صحيح ابن حبان، ط١، تحقيق: شعيب الارنؤوط،(بيروت: بلا،١٩٨٨م).
- ابن حجر العسقلاني،شهاب الدين احمد بن علي (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٨م).
١١- انباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ط٢،(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م).
- الحنبلي، مجير الدين العليمي (ت٩٢٧هـ / ١٥٢٠م).
١٢- الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباته، (عمان: مكتبة دنيس، ١٩٩٩م).
- ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ / ١٤٠٥م).
١٣- العبر وديوان المبتدأ والخبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، ط٥،(بيروت: دار القلم، ١٩٨٤م).
١٤- مقدمة ابن خلدون،ط٥،(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٤م).
- الداعي ابن الوليد، علي بن محمد بن الوليد الأنف العبشمي (ت٦١٢هـ / ١٢١٥م).
١٥- دامغ الباطل وحتف المناضل، ط١، تحقيق: مصطفى غالب، (بيروت: مؤسسة عز الدين، ١٩٨٢م).
١٦- تاج العقائد ومعدن الفوائد، تحقيق: عارف تامر، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٧م).
١٧- جلال العقول وزبدة المحصول، نشر ضمن كتاب منتخبات إسماعيلية، ط١، تحقيق: عادل العوا،(بيروت: مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥٨م).
- الداعي عبدان القرمطي (توفي في القرن الثالث الهجري).
١٨- شجرة اليقين، ط١،تحقيق: عارف تامر، (بيروت: دار الافاق، ١٩٨٢م).
- الداعي الوداعي، علي بن حنظلة بن أبي سالم (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م).
١٩- سمط الحقائق في معرفة العقائد "في عقائد الاسماعيليين"، تحقيق: عباس العزاوي، (دمشق: المعهد الفرنسي، ١٩٥٣م).
- ابو داود، سليمان بن الاشعث الازدي (ت٢٧٥هـ).
٢٠- سنن ابي داوود، اعده وعلق عليه: عزت عبيد العاس وعادل السيد، (حمص: دار الحديث، ١٩٧٤م).
- الداوداري،ابو بكر بن عبد الله بن ايبك (ت٧٣٦هـ / ١٣٣٥م).
٢١- الدرة الزكية في اخبار الدولة التركية (الجزء الثامن من كتاب كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: اولرخ هارمان،(القاهرة: المعهد الالماني، ١٩٧١م).
- ابن دقماق، برهان الدين (ت٨٠٩هـ / ١٤٠٦م).

٢٢- الجواهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٥م).
- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).
٢٣- سير اعلام النبلاء، ط١،(القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٦م).
٢٤- تاريخ الاسلام، ط١، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري،(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م).
- الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ / ١٢٦٧م).
٢٥- مختار الصحاح، ط١ (بغداد: دار النهضة، د.ت).
- السبكي، تاج الدين ابي نصر عبد الوهاي (ت٧٧١هـ / ١٣٦٩م).
٢٦- طبقات الشافعية الكبرى، ط١، تحقيق: عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناجي، (بلا: مطبعة عيسى، د. ت).
٢٧- عيد النعم ومبيد النغم، ط١، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٦م).
- السخاوي عبد الرحمن بن محمد بن ابي بكر (ت٩٠٢هـ / ١٤٩٦م).
٢٨- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط١،(القاهرة: بلا، د.ت).
٢٩- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ط١،تحقيق: ابو الفضل ابراهيم، (مصر: دار احياء الكتب، ١٩٧٩م).
٣٠- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط١،(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م).
- ابن سعد، محمد بن منيع (ت٢٣٠هـ).
٣١- الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر، د.ت).
- السيوطي، الامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ / ١٥٠٥م).
٣٢- تاريخ الخلفاء، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، ط١،(مصر: مطبعة السعادة، ١٣٧١هـ).
- ابن شداد، عز الدين محمد بن علي(ت٦٨٤هـ/١٢٥٠م).
٣٣- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (بيروت: دار المعرفة، د.ت).
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ / ١٠٧١م).
٣٤- الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارناؤطي وتركي مصطفى، (بيروت: دار احياء التراث، ٢٠٠٠م).
- ابن عبد الظاهر، محي الدين ابو الفضل عبد الله(ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م).
٣٥- تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور قلاوون، تحقيق: مراد كامل، (القاهرة: الشركة العربية، ١٩٦١م).
- ابن العماد،عبد الحميد بن احمد (ت١٠٨٩هـ).
٣٦- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ط١، تحقيق: عبد القادر الاناؤوط ومحمود الارناؤوط،(دمشق: د. ت).
- العيني، محمد بن احمد بن موسى (ت٨٥٥هـ / ١٤٥١م).

٣٧- السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة من خلال مخطوط عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان (ت ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م)، تحقيق: شكري ايمان عمر، (بلا: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢م).
- ابن الفقيه الهمداني، أبو بكر أحمد بن محمد (ت٦٣٥هـ / ٩٧٥م).
٣٨- مختصر كتاب البلدان، ط١ (بيروت: دار أحياء التراث العربي، ١٩٨٨م).
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م).
٣٩- أثار البلاد وأخبار العباد، ط١ (بيروت: دار صادر، د. ت).
- ابن قاضي شهبه، تقي الدين ابي بكر بن احمد الدمشقي (ت٨٥١هـ / ١٤٤٧م).
٤٠- طبقات الشافعية، ط١ تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، (بيروت:عالم الكتب، ١٤٠٧هـ).
- القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور المغربي (ت٣٦٣هـ / ٩٧٣م).
٤١- الهمة في أداب أتباع الأئمة، تحقيق: محمد كامل حسين، (القاهرة: دار الفكر، د.ت).
- القلقشندي، احمد بن علي (ت٨٢١هـ / ١٤١٨م).
٤٢- صبح الاعشى في صناعة الانشا (القاهرة: دار الكتب المصرية، د. ت).
- ابن كثير، اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ).
٤٣- البداية والنهاية في التاريخ، ط١،(بيروت: دار احياء التراث، ١٩٨٨م).
- الكرماني، أحمد حميد الدين (ت٤١١هـ / ١٠٢٠م).
٤٤- المصابيح في أثبات الامامة، تحقيق: مصطفى غالب، (بيروت: دار المنتظر، ١٩٩٦م).
٤٥- الاقوال الذهبية، ط١، تحقيق: مصطفى غالب، (بيروت: دار محيو، ١٩٧٧م).
٤٦- رسالة المباسم والبشارات، نشرت ضمن كتاب مجموعة رسائل الكرماني، ط١، تحقيق: مصطفى غالب، (بيروت: المؤسسة الجامعية، ١٩٨٣م).
- ابو المعالي، حاتم بن عمران بن زهرة (ت٤٩٥هـ / ١١٠١م).
٤٧- رسالة الاصول والاحكام، نشر ضمن كتاب خمس رسائل اسماعيلية، تحقيق: عارف تامر، ط١ (سلمية: دار الانصاف، ١٩٥٦م).
- ابن منقذ، ابو المظفر مؤيد الله مجد الدين اسامة بن مرشد (٥٨٤هـ).
٤٨- الاعتبار، تحرير: فيليب حتي، (مصر: مكتبة الثقافة الدينية،د. ت).
- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت٦٩٧هـ / ١٢٩٨م).
٤٩- مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تحقيق: حسنين محمد ربيع، (مصر: د.ت).
- ابو يعلى، محمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ / ١٠٦٥م).
٥٠- الاحكام السلطانية، ط١، تصحيح: محمد حامد الفقي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م).
- الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ / ١٠٥٨م).
٥١- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط١(مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٦م).
- المقريزي، احمد بن علي بن عبد القادر (ت٨٤٥هـ / ١٤٤٢م).

٥٢- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية، ط١، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي،(القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٧م).

٥٣- السلوك لمعرفة دول الملوك، ط١، تحقيق: محمد عبد القادر عطا،(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م).

- النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت٩٧٨هـ / ١٥٧٠م).

٥٤- الدارس في تاريخ المدارس، ط١، تحقيق: ابراهيم شمس الدين،(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ).

- النيسابوري، أحمد بن أبراهيم (توفي في القرن الخامس الهجري).

٥٥- أثبات الامامة، ط١، تحقيق: مصطفى غالب، (بيروت: دار الاندلس، ١٩٩٦م).

- اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى (ت٧٥٩هـ / ١٣٥٨م).

٥٦- نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، ط١، تحقيق: احمد حطيط،(بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٦م).

ثانياً: المراجع العامة

- البزار، عمر بن علي

٥٧- الاعلام العلية في مناقب ابن تيمية، (بيروت: المكتب الاسلامي، ١٣٩٩هـ).

- الجبوري، جميل عائد علي

٥٨- دراسات في الحضارة الاسلامية،ط١، (المدينة المنورة: مطابع الرشيد، ١٩٩١م).

- الحجي، حياة الناصر

٥٩- صور من الحضارة العربية الاسلامية، ط١،(القاهرة: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م).

- حسن، علي ابراهيم

٦٠- تاريخ المماليك البحرية، (بلا، مكتبة النهضة المصرية، د. ت).

- حمدي، حافظ احمد

٦١- الدولة الخوارزمية والمغول(غزو جنكيز خان للعالم الاسلامي واثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية) ط١،(بلا: دار الفكر العربي، د.ت).

- الزركلي، خير الدين بن محمود

٦٢- الاعلام، ط١٥،(بلا، دار العلم، ٢٠٠٢م).

- طرخان، ابراهيم علي

٦٣- النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى، (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٨م).

- عاشور، سعيد

٦٤- العصر المماليكي في مصر والشام، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٦م).

- عبد التواب، عبد الرحمن محمود

٦٥- الاشرف قاتيباي سيف الدين ابو النصر قاتيباي المحمودي، ط١ (القاهرة: الهيئة المصرية، ١٩٧٨م).

- عز الدين،محمد كمال

٦٦- التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر، ط١،(بلا: دار اقرأ، ١٩٨٤م).

- فرغلي، نعيم زكي

٦٧- الحركة التاريخية،ط١،(بلا: دار العلم، ١٩٩٦م).

- لابدوس، ايرا

٦٨- مدن الشام في العصر المملوكي، ط١، ترجمة: سهيل زكار،(دمشق: دار احسان، ١٩٨٥م).

- ماجد، عبد المنعم

٦٩- تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، ط١ (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٣م).

٧٠- نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ط٣ (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٥م).

- المحبي، محمد امين بن فضل الله (ت١١١١هـ / ١٦٩٩م).

٧١- خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر،(بيروت: دار صادر، د.ت).

- مشرفة، عطيه

٧٢- نظام الحكم بمصر في عصر الفاطميين، ط٢ (القاهرة: دار الفكر، د.ت).

ثالثاً: الرسائل الجامعية

- المدني، رشاد عمر

٧٣- الحياة العلمية في فلسطين في مرحلة الصراع الصليبي ٦٩٠هـ / ٤٩١م- ١٢٩١هـ / ١٠٩٨م) رسالة ماجستير غير منشورة، (الجامعة الاسلامية: كلية الاداب، ٢٠٠٥م).